الأدب الأدب

لأبي عرفات

محمد بن نبيه علي ضيف الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأدب

لأبي عرفات

محمد بن نبيه علي ضيف الله

جميع حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع

الناشر: مكتبة العلوم والحكم

محمول ٠١٠٠١٦٢٢٦٦١

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

إنِ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول زوراً، أو أغشى فجوراً، أو أكون بك مغروراً.

تقديم

لو نظرت إلى التكاليف الشرعية من أوامر ومناهي لرأيت أنها تهدف إلى تقويم الإنسان سلوكيا وهذا بتأديبه ظاهرا وباطنا وهذا يهيئه لكي يفوز بعز الجوار في دار الكرامة في جنة الله. ولما كان عز الجوار في الجنة مطمحا ترنوا إليه أنظار طلاب العلم رأيت أن أجعل درسي تحت عنوان «**تأدب قبل أن تتعلم**» وهذا لأن فئة ممن ينتسبون إلى العلم في حاجة إلى الأدب حيث إنهم لما أرادوا إبعاد النقص عن أنفسهم ألحقوه بغيرهم.

ومن هؤلاء شبية أرادوا أن يظهروا للناس أنهم على المنهج فشانوا كل علماء الأمة الأموات منهم والأحياء وسبّوهم فوق المنابر وبدّعوهم وفسّقوهم وضللّوهم وكفّروهم ووصفوهم بالتخليط والتمييع والتضييع. وكان لسان حالهم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف/ ٣٨]. ولو أنهم تأدبوا قبل أن يتعلموا لعلموا أن أدل شيء على طهارة النفس هو إعتقاد الطهارة في الآخرين وأن أدل شيء على فجورها هو دفعه عنها برمي الفضلاء به.

قال الشاعر:

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وإنَّ أخس النقص أن ينفي الفتى ... قذى النقص عنه بانتقاص الأفاضل

من أجل ذلك كانت هذه الرسالة وكانت عبارة عن محاضرات كل محاضرة

تنفرد بأدب من الآداب التي أهملها الناس. وكانت المحاضرات كثيرة لكن قدر الله أن يسرق الكمبيوتر من المكتبة وما كنت نسخت منها إلا هذا القدر فقط.

فأسأل الله أن ينفعنا بها وأن ينفع بها عامة الخلق.إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

كتبه

أبو عرفات

محمد بن نبيه علي ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

مصر المحروسة / محافظة الشرقية/ فاقوس/ كفر السواقي

أولا تعريف الأدب

الأدب فن من الفنون الجميلة التي تصور الحياة وأحداثها بما فيها من أفراح وأتراح، وآمال وآلام، من خلال ما يختلج في نفس الأديب ويجيش فيها من عواطف وأفكار، بأسلوب جميل، وصورة بديعة، وخيال رائع.

✍**ففي العصر الجاهلي**: استعمل الجاهليون كلمة "أدْب"- بسكون الدال- بمعنى الدعوة إلى الطعام، والدعوة إلى الطعام خصلة حميدة وخلق فاضل.

والأدِب هو الداعي إلى الطعام الذي أعد المأدبة. كما استعملوا أيضا "آداب" بمعنى أخلاق، ففي كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى مع وفد العرب " وقد أوفدتُ- أيها الملك- رهطًا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم.

✍**وفي العصر الإسلامي**: أخذ مدلول هذه الكلمة يتسع ليشمل التهذيب اللساني إلى جانب التهذيب الخلقي الذي هو النشأة الصالحة وحب الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة، فقد ورد في الدرر المنتثرة [١ / ١١، أخرج ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده: " أن أبا بكرٍ قال: يا رسول الله لقد طفتُ في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك؟ قال: «**أدبني ربي ونشأت في بني سعد**» [الضعيفة ٧٢/ وضعيف الجامع ٢٥٠].

وجاء عن عمر بن الخطاب – – قوله لا بنه: "يا بني انسب نفسك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك"

وهناك تقارب بين المعنى الذي استخدمت فيه في الجاهلية والإسلام، فالتهذيب النفسي واللساني اللذان برزا في مدلولها في العصر الإسلامي مظهر من مظاهر الخلق الحسن الذي نتج عنه الدعوة إلى الطعام كما استعملت في العصر الجاهلي.

✍ **وحينما نصل إلى العصر الأموي**: نجد أن الكلمة ضمّت إلى معنى التهذيب الخلقي واللساني معنىً آخر: هو إطلاقها على المعلمين الذين يؤدبون أولاد الخلفاء وغيرهم بتلقينهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأيامهم، فسمي هؤلاء بالمؤدبين،

✍ **ولما جاء العصر العباسي**: واتسعت العلوم والمعارف، اتسع مدلول كلمة "أدب" فأطلقت على الأشعار والأخبار وعلى الأحاديث والوصايا والخطب، لما لها من أثر في تهذيب الأخلاق وتقويم اللسان، فالمطالع لها يتأدب بها، أي يأخذ نفسه بما فيها من آداب.

ومن هنا نجد ابن المقفع سمى كتابيه "لأدب الصغير، والأدب الكبير" لتضمنهما مجموعة من الحكم والنصائح الخلقية والسياسة.

وكذا الإمام البخاري أطلق هذا اللفظ على قسم من كتابه "الجامع الصحيح" سماه "كتاب الأدب" جمع فيه الأحاديث التي تدل على حسن الخلق من طاعة الوالدين والعطف على الأيتام ومراعاة حق الجار والصبر، إلى غير ذلك من الفضائل.

بل أفرد البخاري مصنفا كاملا وسماه (الأدب المفرد)

وفي صحيح البخاري [جزء ٥ / ٢٢٢٥] (الأدب): هو ترويض النفس على محاسن الأخلاق وفضائل الأقوال والأفعال التي استحسنها الشرع وأيدها العقل ، وهو استعمال ما يحمد قولا وفعلا. وهو مأخوذ من المأدبة وهو طعام يصنع ثم يدعى الناس إليه سمي بذلك لأنه مما يدعى كل أحد إليه.والمراد هنا بيان طرق الأدب وبيان أنواعه وما يتحقق به.

وفي سنن ابن ماجه [جزء ٢ / ١٢٠٥] (الأدب):

قيل الأدب حسن التناول.

وقيل مراعاة حد كل شيء.

وقيل هو استعمال ما يحمد قولا وفعلا.

وقيل الأخذ بمكارم الأخلاق. وقيل الوقوف مع الحسنات.

وقيل تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك. وقيل حسن الأخلاق.

✍**وفي القرن الثالث الهجري** نجد أن كلمة "أدب" أصبحت تطلق على مادة التعليم الأدبي خاصة، وهي الشعر والنثر وما يتصل بهما من الأخبار والأيام والطرائف، وعلى هذا استقر مدلول الكلمة، وألفت كتب في الأدب تجمع هذه الأنواع مثل:

(البيان والتبيين للجاحظ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي، والعقد الفريد لا بن عبد ربه)وغيرها.

فالأدب من خلال النظرة الإسلامية كل قول أو فعل يؤثر في النفس ويهذب الخلق ويدعو إلى الفضيلة ويبعد عن الرذيلة، بأسلوب جميل.

قدر الأدب عند العلماء

قال أبوعلي القالي: حدثنا أبو بكر بن دريد رَحِمَهُ اللَّهُ قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال بعض الحكماء: لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ظهير كالمشاورة، ولا ميراث كالأدب..(الأمالي لأبي علي القالي١/ ٢٠٧).

وقال فيلسوف: الناس كالسيوف والشحذ والجلاء كالأدب. (البصائر والذخائر للتوحيدي)

وفي كتاب تذكرة السامع والمتكلم قال بعض العلماء وهو يوصي ولده:

(يابني لأن تتعلم بابا من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين بابا من العلم) وذلك لأن الإمام القرافي يقول في كتاب الفروق: قليل من العمل مع حسن الأدب خير من كثير العمل مع سوء الأدب.

وقال رويم بن يزيد المقريء لولده: (يابني اجعل عملك ملحا واجعل أدبك دقيقا) فكثرة الأدب مع عمل صالح قليل خير من عمل كثير مع سوء أدب.

فالأدب أفضل نسب وأجمل حسب ولك ما قاله الشاعر: حسن حسني باشا بن حسين عارف الطويراني(ولد١٢٦٧هـ وتوفي ١٣١٥ هـ/ ١٨٥٠ - ١٨٩٧ م) في شعره:

الغَيث يعلم أَنه ابن سحابة ... وَالخَندريس بأنها بنت العنب
وَالدرّ يفهم أَنه من خضرم ... يحوي نظائره على ما قد وَجب
وَالمرء في أَخلاقه وَمقاله ... معنى يدل عليه إن جُهل النسب
فإذا فقدت الجدَّ فاختر بعده ... أن تنتمى لا ب شريف كالأدب
ثمن الفتى في الناس قدر كماله ... لا كالبهيمة من لجين أَو ذهب

وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون أكرم ولدك وأحسن أدبه

وكان يقال: من أدب ابنه صغيرا أرغم أنف عدوه.

وقال الحسن: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

وقال الشاعر:

خير ما ورث الرجال بنيهم ... أدب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأوراق ... في يوم شدة أو رخاء
تلك تفنى والدين والأدب الصالح ... باق لا يفنيان حتى اللقاء

وكان يقال: من أدب ابنه صغيرا قرت به عينه كبيرا.

قال لقمان: ضرب الوالد للولد كالماء للزرع

لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب.

قال بعض الحكماء: نعم العون لمن لا عون له الأدب.

ويقال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] **قال**: أدبوهم وعلموهم.

قيل لعيسى عليه السلام من أدبك؟

فقال: ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.

وقال بعض الحكماء: أفضل ما يورث الآباء الأبناء الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحون.

الأدب مع الله

يكون بإخلاص العبادة قليلها وكثيرها عظيمها وحقيرها لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر).

وفي صحيح البخاري ٦٢٠١ عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه**».

معنى الحديث:

قوله أسعد: على وزن أفعل من السعادة وهي خلاف الشقاوة أو من السعد وهو اليمن والخير.

قوله: بشفاعتك: الشفاعة مشتقة من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى وشفاعته ﷺ توسله إلى الله تعالى أن يرحم العباد في مواقف عدة من مواقف يوم القيامة (ظننت) علمت. (خالصا) مخلصا والإخلاص في الإيمان ترك الشرك وفي الطاعة ترك الرياء.

والتخلص من جميع مظاهر الشرك كالرياء لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

فمن عمل شيئا لله ولغيره لم يقبله بل يتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به.

والمرائي هوا لذي يتعبد أمام الناس دون الخلوة ليُرى مأخوذ من الرياء.

روى البخاري في صحيحه برقم من حديث جندب يقول:

قال النبي ﷺ ولم أسمع أحدا يقول قال النبي ﷺ غيره فدنوت منه فسمعته يقول قال النبي ﷺ «**من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به**».

و أخرجه مسلم في الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله. رقم ٢٩٨٦

والمعنى:

قوله: سمّع: أي شهّر بنفسه وأذاع ذكره وقيل عمل عملا على غير إخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعوه (سمع الله به) كشفه على حقيقته وفضح أمره.

قوله: (يرائي) يُطلع الناسَ على عمله بقصد الثناء منهم.

قوله: «**يرائي الله به**» يطلع الناس على حقيقته وأنه لا يعمل لوجه الله تعالى فيذمه الناس مع استحقاق سخط الله تعالى عليه.

ومنها ما يعتقده الناس من أن بعض الناس يعلمون الغيب ومن ثم ينصرفون إليه في شئونهم ولا شك أن لجوء الناس إلى هذا الإنسان لمعرفة الغيب وسيلة باطلة تدحضها التجربة ويهدمها النظر السليم فهي وسيلة خرافية أدى إليها الجهل والدجل لا نها تخالف الكتاب والسنة والإجماع ويكفي في ذلك مخالفتها لقوله سبحانه في الثناء على نفسه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

و من ذلك استغاثة بعضهم بالموتى المقبورين من الأولياء والصالحين

ليقضوا لهم حوائجهم التي لا يستطيع قضاءها إلا الله سبحانه وتعالى كطلبهم منهم دفع الضر وشفاء السقم وجلب الرزق وإزالة العقم والنصر على العدو وأمثال ذلك فيتمسحون بحديد الأضرحة وحجارة القبور ويهزونها أو يلقون إليها أوراقا كتبوا فيها طلباتهم ورغباتهم فهذه وسائل شرعية بزعمهم ولكنها في الحقيقة باطلة ومخالفة لا ساس الإسلام الأكبر الذي هو العبودية لله وحده وإفراده بجميع أنواعها وفروعها

ومنها اعتقادهم بأن أحدا من أصحابهم أو أقربائهم يذكرهم بخير إذا طنت آذانهم فيقولون اللهم أسمعنا سمع خير

وكذلك اعتقادهم بأن بلاء ينزل عليهم إذا قصوا أظفارهم في الليل أو إذا حاكوا ثيابهم بالليل وفي يوم من الأيام على أن فيه ساعة نحس. أو إذا كنسوا بيوتهم ليلا

فهذه وأمثالها اعتقادات باطلة بل خرافات وترهات وظنون وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

والدجل والكهانة وما يدفع فيه من مال حرام لما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر وما هو؟ قال كنت تكهنت لا نسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه

وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم

(صحيح مسلم برقم١٢١/ (٥٣٧)

معنى الرواية:

قال القاضي رحمه الله كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدهما يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسرقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ الثاني أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها وهذه الأضرب كلها تسمى الكهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم «**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه**» معناه أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا]والكهان كذَبَةٌ لا يعرفون شيئا كما جاء في صحيح ابن حبان برقم ٦١٣٦ عن عروة يقول: قالت عائشة: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ليسوا بشيء**» قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا ! قال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الجن يحفظها فيقذفها في أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة**» قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

أقوال في الأدب:

الجلالي البصري يقول: التوحيد موجب يوجب الإيمان؛ فمن لا إيمان له فلا توحيد له، والإيمان موجب يوجب الشريعة؛ فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد، والشريعة موجب يوجب الأدب؛ فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد.

أبو علي الدقاق رحمه الله، يقول: ترك الأدب موجب يوجب الطرد؛ فمن أساء

الأدب على البساط ر إلى الباب، ومن أساء الأدب علي الباب ردّ إلى سياسة الدواب.

وقال يحيى بن معاذ: من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى.

عن أبن المبارك أنه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منَّا إلى كثير من العلم.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قال الوليد بن عتبة: قال: ابن المبارك: طلبنا الأدب حين فاتنا المؤديون: وقيل: ثلاث خصال ليس معهن غُربة: مجانبةُ أهل الرِّيب، وحسن الأدب.وكف الأذى: وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله المغربي، ﷺ، في هذا المعنى:

يـــزين الغريـــبَ إذا مـــا اغتـــرب ثـــلاث: فمنـــهن حســـنُ الأدب
وثانيـــــه: حســـــن أخلاقـــــه وثالثـــــه: اجتنـــــاب الرِّيـــــب

أبو النصر الطوسي السراج يقول: الناس في الأدب علي ثلاث طبقات: أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

وأما أهل الدين فأكثرهم آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.

وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعات الأسرار والوفاء وبالعهود وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسنُ الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

وحكي عن سهل بن عبد الله أنه قال: من قهر نفسه بالآدب فهو يعبد الله

بالإخلاص.

وقيل: كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين.

وقال عبد الله بن المبارك: قد أكثر الناس في الأدب، ونحن نقول: هو معرفة النفس.

وقيل: مدّ ابن عطاء رجله يومًا بين أصحابه وقال: ترك الأدب بين أهل الأدب أدب.

ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي روي " أن النبي ﷺ كان عنده أبو بكر، وعمر، فدخل عثمان فغطى فخذه وقال: **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** " نبه ﷺ: أن حشمة عثمان، رضي الله عنه، وإن عظمت عنده، فالحالة التي بينه وبين أبي بكر وعمر كانت أصفى.

وفي قريب من معناه أنشدوا:

فيّ أنقـــاض وحشـــمة فـــإذا جالست أهـــل الوفـــاء والكـــرم

أرسلتُ نفســـي علـــى ســـجيتها وقلت مـــا قلـــت غـــيرَ محتشـــم

أبوعلي الدقاق رحمه الله، يقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

قال: لم يقل ارحمني لنه حفظ آداب الخطاب.

وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦] ولم يقل: لم أقل؛ رعاية لا داب الحضرة. - (الرسالة القشيرية ١ / ١٢٨)

أدب الخوف من الله ؟

الخوف من الله عز وجل: من المقامات العلية وهو من لوازم الإيمان قال الله تعالى ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] وقال تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨]

وبما جاء في صحيح مسلم برقم١١٠٨من قوله «**والله إني لا تقاكم لله وأخشاكم له**»

وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن دونه وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

ووصف الأنبياء بقوله ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٩]

وإنما كان خوف المقربين أشد لا نهم يطالَبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة.

ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة فالعبد إن كان مستقيما فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢٤]

وان كان المرء مائلا فخوفه من سوء فعله وينفعه ذلك مع الندم والاقلاع

فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها ويخاف أن يحرم التوبة أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له فهو مشفق من ذنبه طالبٌ من ربه أن يدخله فيمن يغفر له.

وفي الخوف من الله (ما جاء في صحيح البخاري برقم ٦٢٩ عن أبي هريرة

: عن النبي قال «**سبعة يظلهم الله في ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»[ر ١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١] وأخرجه مسلم في الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة رقم ١٠٣١

قال الإمام النووي في شرحه على مسلم فالخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواتها

وحديث النبي (في صحيح البخاري برقم ٢١٠٢ عن ابن عمر ﷺ: عن النبي قال: «**خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل فانحطت عليهم صخرة قال فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب فآتي أبواي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان قال فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء قال ففرج عنهم، وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أني أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء فقالت لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركتها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة قال ففرج**

عنهم الثلثين، وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذلك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ثم جاء فقال يا عبد الله أعطيني حقي فقلت انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك فقال أتستهزئ بي؟ قال فقلت ما أستهزئ بك ولكنها لك اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم».

وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء – باب قصة أصحاب الغار الثلاثة – رقم ٢٧٤٣

وأخرج الترمذي وضعفه الألباني برقم ٢٤٩٦ من حديث بن عمر قصة «**الكفل وكان من بني إسرائيل وفيه أيضا انه عف عن المرأة وترك المال الذي أعطاها خوفا من الله**».

وروى الحاكم في المستدرك برقم ٧٦٥١ عن ابن عمر قال: لقد سمعت من في رسول الله حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبعا ولكني سمعته أكثر من ذلك قال: «**كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد مقعد الرجل من امرأته أرعدت فبكت فقال: ما يبكيك أكرهت؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعليه قط قال: ثم نزل فقال: اذهبي والدنانير لك قال: ثم قال والله لا يعصي الكفل ربه أبدا فمات من ليلته وأصبح مكتوبا على بابه قد غفر للكفل**» (قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: صحيح

فينبغي أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا لأن الله تعالى قد يعذب على القليل فإنه لا يسأل عما يفعل سبحانه

وفي سنن الدارمي برقم ٢٩٩عن كعب قال: إني لا جد نعت قوم يتعلمون

بغير العمل ويتفقهون لغير العبادة ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون جلود الضان وقلوبهم أمر من الصبر فبي يغترون أو إياي يخادعون فحلفت بي لا تيحن لهم فتنة تترك الحليم فيها حيرانا (قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح).

ومن سوء الأدب مع الله : شرك الخوف :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذالِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوّفُ أَوْلِيَاءهُ فلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال مجاهد: "يخوّف المؤمنين بالكفار"[تفسير الطبري ٣/ ٥٢٥].

قال سليمان آل الشيخ: "الخوف على أربعة أقسام:

١/ الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَايِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]".

٢/ خوف الشرك: وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء، من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك، بقدرته ومشيئته، سواء ادَّعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً، لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفوِّن به أولياء الرحمن، وهذا القسم هو الواقع اليوم من عبّاد القبور، فإنهم يخافون الصالحين ومن ثم يوقعهم الخوف في النذر لا صحاب القبور خوفا من أن يصيبوه بسوء، فهم يخافونهم، كما يخافون الله بل أشدّ، ولهذا إذا توجّهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبـًا أو صادقـًا، فإن كان اليمين بصاحب القبر يخاف أن يحلف كاذبـًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أنّ هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد

أيمانهم اليمين بالله تعالى. واعلم أن من نواقض لا إله إلا الله: شرك الخوف، بأن تخاف من غير الله أخوف من خوفك من الله، والله عز وجل قال: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، وقال أيضاً: ﴿فلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال أيضاً: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

ويقول أيضاً: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ الله وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ الله وَالله ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

ولقد جاء في (سنن الترمذي برقم٢٤١٤):

عن بن المبارك عن عبد الوهاب ابن الورد عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن اكتبي إلي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام عليك**» (قال الشيخ الألباني: صحيح)

وأفضل طريقة للتخلص من شرك الخوف اللجوء إلى الله – تعالى-، والاعتصام به، والتوكل عليه، ومعرفته بأسمائه وصفاته – سبحانه وتعالى-، فمن خاف الله خافه كل شيء، ومن اتقى الله اتقاه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء، واعلم – رحمك الله – أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله لا تدني من الأجل، كما أن تركها لا يبعد من الأجل، فكم من داعية صدع بالحق ومات على فراشه، وكم من جبان قتل، فالآجال محدودة، والأنفاس معدودة، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]

٣/ الخوف من الناس وهذا بمعنى أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا محرم. وهذا تجده في كل الطبقات.

تجدهم مع البشر يخافون ويتأكدون من العبارات ويتثبتون من مواقفهم حتى لا يقعوا في إرباك مع البشر، بينما مع الله لا تجد هذا التثبت ولا هذا التأني ولا هذا الخوف. وقد يكون الدافع لهذا أن الله يعلم حال الناس وهو وحده الذي يغفر أما بنو آدم لا يغفرون وهذا قصر في الفهم وخلل في التوحيد

وهذا يحمل على ترك النهي عن المنكر فقد ترى عريا من النساء الموظفات معك في العمل أو ترى خللا في العمل أو عدم إتقان: وتخاف أن تأمر بمعروف أو تنهى عن المنكر حتى لا يلحقوا بك الأذي أو الحبس. ولا أدري لماذا يخاف وقد قال: «**رضيت بالله ربـًا، وبالإسلام دينـًا، وبمحمدٍ نبيـًا**» فأين الخوف من الله؟

فالذي نخشاه أن يقع بعض الموحدين المشتغلين بأركان الإسلام وواجباته في شرك الخوف، فيخافون من البشر أخوف من ربّ البشر.

٤/ خوف وعيد الله الذي توعّد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذالِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وإنما يكون محموداً إذا لم يوقع في القنوط واليأس من رَوح الله.

أدب الحب:

قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

وفي الآية:

١/ أن من كان يحب الله تعالى يصبر على ما أصابه ولا يرتدُّ عن الدين

٢/ وفيها بشارة عظيمة للمؤمنين لأنه يجب أن يُعْلَمَ أن من كان غير مرتد فإنَّ الله يحبه.

٣/ وفيها إشارة دقيقة بأن من كان مؤمناً يجب أن يكون لله محباً، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بصحة إيمانه.

٤/ وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاء، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه**».

أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصري قال: عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن ربه سبحانه وتعالى قال: «**من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت في شيء كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدّ له منه، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً**».

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبّ الله، عز وجل، العبد قال لجبريل: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبه؛ فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في**

أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك».

والمحبة: حالة شريفة شهد الحقُّ، سبحانه، بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق: سبحانه، يوصف بأنه يحب العبدّ، والعبدُ يوصف بأنه يحب الحق سبحانه.

والمحبة على لسان العلماء: هي الإرادة التي تحمل المحب على التقرب إلى الله والتعظيم له. وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه. والاهتياج إليه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه.

تعريف المحبة في اللغة؛ قال بعض العلماء: الحب اسم لصفاء الموجة؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حبب الأسنان.

وقيل: الحباب: ما يعلوا الماء عند المطر الشديد؛ فعلى هذا المحبة: غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: إنه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو: معظمه. فسمي بذلك: لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات

وقيل: هو مأخوذ من الحبِّ جمع حبَّة وحبة القلب: ما به قوامه؛ فسمي الحب حبًا باسم محله.

وقيل: الحب، والحبّ كالعمَر والعُمر. - (الرسالة القشيرية ١ / ١٢٨)

وقيل: هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهي بذور الصحراء: فسمي الحب حبا، لأنه لباب الحياة، كما أن الحب لباب النبات.

وقيل: الحب: هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة:، فسميت

المحبة حبـًا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذلّ.

وقيل: هو من الحب الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه، فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه.

وقال بعضهم: المحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: المحبة: إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقيل: مواطأة القلب لمرادات الرب.

وقال سهل: الحبُّ: معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

وسئل الجنيد عن المحبة، فقال: استيلاء ذكر المحبوب، حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها.

وقال الشبلي: سميت المحبة محبة؛ لا نها تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وقال ابن عطاء: المحبة: إقامة العتاب على الدوام.

ويقول سمنون: ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة، لأن النبي ؟قال: " المرءمع من أحب " ؛ فهم مع الله تعالى:

وقال يحيى بن معاذ: حقيقة المحبة مالا ينقص بالجفاء، ولا يزيد بالبر، وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده.

وقال محمد بن الفضل: المحبة: سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

المحاسبي يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك وما لك، ثم موافقتك له سرًّا وجهراً، ثم علم بتقصيرك في حبِّه.

وقيل: المحبة: نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب.

أبو عثمان الحيري يقول. سمعت أبا حفص يقول: أكثر فساد الأحوال من ثلاثة، فسق العارفين، وخيانة المحبين، وكذب المريدين. قال أبو عثمان: فسق العارفين: إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها.

وخيانتة المحبين: اختيار هواهم على رضا الله عزَّ وجل فيما يستقبلهم. وكذب المريدين: أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عزَّ وجلَّ.

المحبة كلها جنس واحد، هي الرغبة في المحبوب وكراهة منافرته، والرغبة في القرب منه بالمحبة،

قدر المحبة عند الناس يختلف بإختلاف الأغراض فيها، وإنما اختلفت الأغراض من أجل إختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها أو انحسامها

فتجد المقر بالرؤية لله عز وجل شديد الحنين إليها، عظيم النزوع نحوها، لا يقنع بدرجة دونها، لأنه يطمع فيها. وتجد المنكر لها لا تحن نفسه إلى ذلك ولا يتمناه أصلاً، لأنه لا يطمع فيه، وتجده يقتصر على الرضا والحلول في دار الكرامة فقط، لأنه لا تطمع نفسه في أكثر.

جاء في صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي (قال (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[١٢، ٥٦٩٤، ٦٥٤٢] وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم ٤٣

شرح الرواية:

وفي قوله حلاوة الإيمان استعارة تخييلية شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو وأثبت له لا زم ذلك الشيء وأضافه إليه

وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوي استدلال البخاري على الزيادة والنقص

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبة الإيمان بالشجرة في قوله تعالى مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة فالكلمة هي كلمة الإخلاص والشجرة أصل الإيمان وأغصانها أتباع الأمر واجتناب النهي وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات وحلاوة الثمر جني الثمرة وغاية كماله تناهى نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها.

قوله أحب إليه منصوب لأنه خبر يكون.

قال البيضاوي المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضي رجحان

جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ويلتذ بذلك التذاذا عقليا إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك

وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لا نها أظهر اللذائذ المحسوسة

وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تامل أن

المنعم بالذات هو الله تعالى وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه وأن ما عداه وسائط وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب الا ما يحب ولا يحب من يحب الا من أجله وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينا ويخيل إليه الموعود كالواقع فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار

وشاهد الحديث من القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة: ٢٤]

فائدة: فيه إشارة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل فالأول من الأول والأخير من الثاني

محبة الله على قسمين فرض ونذب:

١/ الفرض هي: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية أو تستمر الغفلة فيقع وهذا الثاني يسرع إلى الاقلاع مع الندم وإلى هذا يشير حديث (لا يزني الزاني وهو مؤمن (

٢/ والندب أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات والمتصف عموما بذلك نادر

أقوال في المحبة:

١/ من امتحن بقرب من يكره، كمن امتحن ببعد من يحب ولا فرق.

٢/ إذا دعا المحب في السلو. فإجابته مضمونة ودعوته مجابة.

٣/ إقنع بمن عندك، يقنع بك من عندك.

٤/ السعيد في المحبة هو من ابتلي بمن يقدر أن يلقي عليه قفله، ولا تلحقه في مواصلته تبعة من الله عز وجل ولا ملامة من الناس

٥/ إذا ارتفعت الغيرة فأيقن بارتفاع المحبة.

٦/ الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة والعدل، لأن من عدل كره أن يتعدى إلى حرمة غيره، وأن يتعدى غيره إلى حرمته؛ ومن كانت النجدة طبعاً له، حدثت فيه عزة، ومن العزة تحدث الأنفة من الإهتضام.

درج المحبة:

١/ الاستحسان، وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور إليه حسنة، أو يستحسن أخلاقه، وهذا يدخل في باب التصادق

٢/ الإعجاب به، وهو رغبة الناظر في المنظور إليه. وفي قربه،

٣/ الألفة، وهي الوحشة إليه إذا غاب.

٤/ الكلف، وهو غلبة شغل البال به، وهذا النوع يسمى في باب الغزل بالعشق.

٥/ الشغف، وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير من ذلك وربما أدى ذلك إلى المرض، أو إلى التوسوس، أو إلى الموت، وليس وراء هذا منزلة في تناهي المحبة أصلاً. (الأخلاق والسير ١ / ١٢)

والمحبة بهذا الترتيب تثمر حب الله لعبده وهذا يعني أن الله تعالى يمنح عبده المحب معيته وتأييده والدفاع عنهم وهذا له ثمرات كثيرة منها:

١/ تحرر النفس من التعبد لغير الله وهذا يدفع إلى الرقي لأن البشرية في القديم أعاقها عن الرقي الخضوع للاستبداد السياسي للحكام والرؤساء والكهنة

٢/ تحرر النفس من الخوف ولذا تجد المحب لله تعالى يحتقر الموت ويرغب في الإستشهاد لعلمه أنه لن يلقى حبيبه إلا بعد الموت

٣/ رضى النفس وقناعتها بأمر الرزق

٤/ هداية القلب وإذا اهتدى القلب لا يفوته من الخير شيء

٥/ النصر على العدو

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ سورة البقرة.

شرح الآية:

قال بن كثير في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه. ثم تَوَعَّدَ تعالى المشركين به، الظالمين لا نفسهم بذلك فقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(تفسير ابن كثير ١ / ٤٧٦)

وقال القشيري في لطائفه: هؤلاء قوم لم يجعلهم الحق سبحانه أهل المحبة، فَشَغَلهم بمحبة الأغيار حتى رضوا لا نفسهم أن يحبوا كل ما هَوَتَهْ أنفسهم،

فرضوا بمعمولٍ لهم أن يعبدوه، ومنحوت – من دونه – أن يحبوه.

فليس المقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام، ولكن المراد منه مدح المؤمنين على محبتهم، ولا تحتاج إلى كثير محبة حتى تزيد على محبة الكفار للأصنام، ولكن من أحبَّ حبيباً استكثر ذكره، بل استحسن كل شيء منه.

ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين لله على محبة الكفار لا صنامهم أن (هذه) محبة الجنس للجنس، وقد يميل الجنس إلى الجنس، وتلك محبةُ من ليس بجنسٍ لهم فذلك أعزُّ وأحق.

ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه، وليس بعجيب محبة ما هو لك مشهود، وأمَّا المؤمنون فإنهم أحبوا من حَالَ بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه.

ويقال الذين آمنوا أشد حباً لله لا نهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإنْ عَذَّبَهُم. والكافر تبرأ من الصنم والصنمُ من الكافر كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الآية.

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهي أتم، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ومحبتهم للأصنام من قضايا هواهم.

ويقال محبة المؤمنين أتمُّ وأشدُّ لا نها على موافقة الأمر، ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع، ويقال إنهم كانوا إذا صلحت أحوالهم، واتسعت ذات يدهم اتخذوا أصناماً أحسن من التي كانوا يعبدونها قبل ذلك في حال فقرهم؛ فكانوا يتخذون من الفضة – عند غناهم – أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد.. وعلى هذا القياس! وأمَّا المؤمنون فأشَدُّ حباً لله لا نهم عبدوا إلهاً واحداً في السّراء والضراء.

قوله جلّ ذكره: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾.

إذا بَدَتْ لهم أوائلُ العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قَدَم، وأمّا المؤمنون فيسلبهم أرواحهم وأملاكهم وأزواجهم وأولادهم، ويُسْكِنُ (أولئكَ) في القبور سنين ثم يبتليهم في القيامة بطول الآجال وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار.

(أما المؤمنون) فيأتي عليهم طول الأيام والأعمال فلا يزدادون إلا محبة (على محبة) ولذلك قال: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾(لطائف الإشارات ١ / ١٥٨)

وقال سهل التستري في تفسيره: وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّه والذين آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للَّهِ﴾ [١٦٥] أي يحبون الأنداد كحبهم الله عزَّ وجلَّ، فقد وصف الله تعالى شدة كفرهم وصدقهم في حال الكفر جهلاً، ووصف محبة المؤمنين وصدقهم في الإيمان بالله تعالى حقـًا، ثم فضل المؤمنين بالمعرفة فقال: ﴿والذين آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للَّهِ﴾ [١٦٥] بمعرفتهم وسائر أسباب العبد المؤمن إلى الإقبال عليه وإقامة الذكر له، وتلك منزلة العارفين المحبين، إذ المحبة عطف من الله تعالى بخالصة الحق. فقيل له: ما علامة المحبة؟ قال: معانقة الطاعة ومباينة الفاقة. وقد حكي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: أتدري لم ألقيت عليك محبتي؟ فقال: لا يا رب. فقال: لأنك ابتغيت مسرتي. يا موسى: أنزلني منك على بال، ولا تنس ذكري على حال، وليكن همتك ذكري، فإن طريقك عليّ، (تفسير التستري ١ / ٣٦)

وقال:

وفي تفسير حقي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ ودون فى الاصل ظرف مكان استعمل هنا بمعنى غير مجازا والاتخاذ بمعنى الصنع والعمل متعد الى مفعول واحد وهو هنا قوله ﴿أَنْدَادًا﴾ هى الاصنام التى بعضها انداد لبعض اى امثال او انها انداد لله تعالى بحسب

ظنونهم الفاسدة من حيث انهم كانوا يرجون من عندها النفع والضرر وقصدوها بالمسائل وقربوا لها القرابين فارجاع ضمير العقلاء اليه فى قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ مبنى على آرائهم الباطلة فى شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء او هى الرؤساء الذين يطيعونهم.

قال القاضى ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى فانه قال الصوفية والعارفون كل شيء شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك ندا له تعالى ويدل عليه قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ الجملة صفة لا نداد اى يعظمونهم ويخضعون لهم ويطيعونهم تعظيم المحبوب واطاعته ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أى حبا كائنا مثل حبهم الله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم والمقصود من التشبيه ما فى الوصف من القوة والضعف والمراد ههنا التسوية وهذه التسوية فى التعظيم لا تنافى اقرارهم بربوبيته تعالى كما يدل عليه قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] ولفظ المحبة مأخوذ من الحب بالفتح كحبة الحنطة والشعير شبه حبة القلب اى سويداءه بالحب المعروف فى كون كل منهما منشأ ومبدأ للآثار العجيبة فاستعير اسم الحب لها ثم اشتق من الحب المستعار للقلب الحب بمعنى ميل القلب لأنه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه والاعتناء لتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه من المعاصى ثم فصل محبة المؤمنين بقوله ﴿والذين آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للَّهِ﴾ من حب الكفرة لا ندادهم لأنه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لأغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا فاذا رأوا صنما يعجبهم اخذوه وطرحوا الاول. وروى ان باهلة عملت لها الها من خسّ فاكلوه عام المجاعة ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اى

لو يعلم هؤلاء الذين اشركوا باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ المعد لهم يوم القيامة اى عاينوه فهى من الرؤية بالعين ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ اى الغلبة والقدرة الآلهية ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ نصب حالا والجملة سادة مسد مفعولى يرى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ عطف على ان القوة لله وفائدته

المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف اى لو علم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شىء من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة على عبادة الانداد فيما لا يكاد يوصف (١ تفسير حقي / ٣٦٤)

والذين آمنوا أشد حبـًا لله من كل ما سواه. والتعبير هنا بالحب جميل فوق انه صادق. فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب والانقياد التي لا تنقطع، فهو يلجأ الى الله دائما عد كل شدة أو نائبة.

ولو يشاهد الذين ظلموا أنفسهم بتدنيسها بالشرك ما سينالهم من العذاب يوم القيامة، يوم تكون القوة جميعها لله وحده؛ وانهم كانوا ضالين حين لجأوا الى سواه، ويتحققون من ان الله شديد العذاب لو يرون حين يتبرأ الرؤساء المتبوعين من الذين اتبعوهم، وحينَ تنقطع الأواصر والعلاقات وينشغل كل بنفسه، وتظهر حقيقة الالوهية وكذب القيادات الاخرى وضعفها وعجزها أمام تلك القدرة لندموا أشد الندم.

ومن الأدب مع الله (التوكل) :

تعريف التوكل:

١/ قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات

٢/ ومن الناس: من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد

٣/ ومنهم: من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار

٤/ قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد

٥/ ومنهم: من يفسره بالرضى فيقول: هو الرضى بالمقدور قال بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله

٦/ قال ابن عطاء: التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها

٧/ قال ذو النون: هو ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوي العبدعلى التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه

٨/ وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال

٩/ وقيل: نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك

١٠/ ومنهم من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة إليه والسكون إليه

١١/ وقال أبو تراب النخشبي: هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أُعطى شكر وإن مُنع صبر

(وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بالأسباب الشرعية فيتزوج للإنجاب مع سابق علمه أن الله على كل شيء قدير ويدعوا للشفاء وهكذا وإلا فهو توكل فاسد

١٢/ وقيل: التوكل هجرالعلائق ومواصلة الحقائق وقيل: التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال وهذا من موجباته وآثاره لأنه حقيقته

قال سهل بن عبدالله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان

فالتوكل حال النبي (والكسب سنته(فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته

فالتوكل بهذه المعاني نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة.

قدر التوكل عند الخلق:

التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم.

فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم.

فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفي محابه وتنفيذ أوامره

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب

ومن ثم جاء القرآن بالحث عليه لما يحققه من ثمرات

قال الله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة/ ٢٣]

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢]

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وحث عليه النبي (في سنته فقال: كما في الترمذي عن عمر ﷺ مرفوعا: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**».

وفي السنن عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله: «**من قال يعني إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: هديت ووقيت وكفيت فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**».

التوكل أدب الأنبياء والمرسلين

لقد أخبر الله تعالى عن رسله بأن التوكل ملجأهم ومعاذهم وأمر به رسوله(في مواضع من كتابه

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩]

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: ٨١]

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان:

٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس: ٨٤، ٨٥]

وفي الصحيحين: أن رسول الله كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت: أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»

التوكل أدب الصالحين من الصحابة ومن بعدهم:

وقال عن أصحاب نبيه﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

وقال عن أوليائه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤]

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**»

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها

إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ (آل عمران).

فأفضل التوكل: التوكل في الواجب أعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس وأوسعه وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج فى مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا توكل ورثتهم ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم فمن متوكل على الله في حصول الملك ومن متوكل في حصول رغيف.

ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله فإن كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه العاقبة المحمودة وإن كان مسخوطا مبغوضا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه وإن كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه إن لم يستعن به على طاعاته والله أعلم

شروط صحة التوكل:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقـًا حقيقيـًا

الثاني: فعل السبب المأذون فيه.

الثالث: عدم الإعتماد على السبب

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب، نقص توكله على الله، ويكون قادحـًا في كفاية الله، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

ومن جعل اعتماده على الله ملغيـًا للأسباب، فقد طعن في حكمة الله، لأن الله جعل لكل شيء سببـًا،

ومن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً، كان قادحًا في حكمة الله، لأن الله حكيم، يربط الإسباب بمسبباتها، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج.الأخذ بالسبب سنة النبي.

فالنبي أعظم المتوكلين، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب، فكان يأخذ الزاد في السفر، ولما خرج إلى أحد ظاهر بين درعين، أي: لبس درعين اثنين ولما خرج مهاجراً أخذ من يدله الطريق، ولم يقل سأذهب مهاجراً وأتوكل على الله، ولن أصطحب معي من يدلني الطريق، وكان (يتقى الحر والبرد، ولم ينقص ذلك من توكله.

ويذكر عن عمر ﷺ أنه قدم ناس من أهل اليمن إلى الحج بلا زاد، فجيء بهم إلى عمر، فسألهم، فقالوا: نحن المتوكلون على الله، فقال: لستم المتوكلين، بل أنتم المتواكلون.

والتوكل نصف الدين، ولهذا نقول في صلاتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ([الفاتحة: ٥] فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته.

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨].

ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل، لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز ولم يتمكن من القيام بالعبادة فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله، فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل،

واقع مر فالغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك، فيفوتنا ثواب عظيم، وهو

ثواب التوكل.

أقسام التوكل:

الأول: توكل عبادة وخضوع:

وهو (الإعتماد المطلق على من توكل عليه، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر، فيعتمد عليه اعتماداً كاملاً، مع شعوره بافتقاره إليه، فهذا يجب إخلاصه لله تعالى، ومن صرفه لغير الله، فهو مشرك شركا أكبر، كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار.

الثاني: الاعتماد على المخلوق وفيه مثالان:

(كأن يعتمد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، وقال بعضهم: من الشرك الخفي، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار، فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب. ويلحظ منه أنه لو جعله سببا لكان جائزا ولكن وقع في المحظور لأنه جعله فوق السبب.

كأن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه، كما لو وكلت شخصاً في بيع شيء أو شرائه، وهذا لا شيء فيه، لأنه أعتمد عليه وهو يشعر أن المنزلة العليا فوقه، لأنه جعله نائبًا عنه، وقد وكل النبي (على ابن أبي طالب أن يذبح ما بقي من هديه، ووكل أبا هريرة على الصدقة • ووكل عروة بن الجعد أن يشتري له شاة، وهذا بخلاف المثال السابق، لأنه يشعر بالحاجة إلى ذلك، ويرى اعتماده علي المتوكَّل عليه اعتماد افتقار.

ومما سبق يتبين أن التوكل من أعلى مقامات الأدب مع الله (وأنه يجب على الإنسان أن يكون مصطحباً له في جميع شؤونه

درجات التوكل:

التوكل على ثلاث درجات كلها تسير مسير العامة

١/ : التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب على نية شغل النفس بالسبب ٠و صاحب هذه الدرجة يتوكل على الله ولا يترك الأسباب بل يتعطاها على نية شغل النفس بالسبب مخافة أن تفرغ فتشتغل بالهوى والحظوظ فإن لم يشغل نفسه بما ينفعها شغلته بما يضره لا سيما إذا كان الفراغ مع حدة الشباب وملك الجدة وميل النفس إلى الهوى وتوالي الغفلا ت كما قيل:

إن الشـــباب والفـــراغ والجـــدة مفســـدة للمـــرء أي مفســـدة

ويكون أيضا قيامه بالسبب على نية نفع النفس ونفع الناس بذلك فيحصل له نفع نفسه ونفع غيره. فالسبب ستر لحاله ومقامه وحجاب مسبل عليه.

فالقيام بالأسباب المأمور بها: محض العبودية وحق الله على عبده الذي توجهت به نحوه المطالب وترتب عليه الثواب والعقاب.

٢/ التوكل مع إسقاط الطلب من الخلق لا من الحق فلا يطلب من أحد شيئا فإن الطلب من الخلق فى الأصل محظور وغايته: أن يباح للضرورة كإباحة الميتة للمضطر.

والسؤال للخلق: ظلم في حق الربوبية وظلم في حق الخلق وظلم في حق النفس أما في حق الربوبية: فلما فيه من الذل لغير الله وإراقة ماء الوجه لغير خالقه والتعوض عن سؤاله بسؤال المخلوقين والتعرض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه.

وأما في حق الناس: فبمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال واستخراجه منهم

وأبغض ما إليهم: من يسألهم ما في أيديهم وأحب ما إليهم: من لا يسألهم فإن أموالهم محبوباتهم ومن سألك محبوبك فقد تعرض لمقتك وبغضك.

وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهنها وأقامها في مقام ذل السؤال ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله أو لعل السائل خير منه وأعلى قدرا وترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقد أقام السائل نفسه مقام الذل وأهانها بذلك ورضي أن يكون شحاذا من شحاذ مثله فإن من تشحذه فهو أيضا شحاذ مثلك والله وحده هو الغني الحميد.

فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير والرب تعالى كلما سألته كرمت عليه ورضي عنك وأحبك والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك كما قيل:

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «**ألا تبايعون رسول الله**» وكنا حديثي عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال «**ألا تبايعون رسول الله**» فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك فقال «**أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس**» وأسر كلمة خفية «**ولا تسألوا الناس شيئا**» قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا أن يناوله إياه.

وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي قال: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**».

وفي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله قال - وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: «**واليد العليا خير من اليد السفلى**» واليد العليا:

هي المنفقة والسفلى: هي السائلة

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي قال: «**من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر**».

وفي الترمذي عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله: «**إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو في الأمر الذي لا بد منه**» قال الترمذي: حديث صحيح

وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعا: «**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»

وفي السنن والمسند عن ثوبان (قال: قال رسول الله: «**من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا أتكفل له بالجنة فقلت: أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا**».

وفي صحيح مسلم عن قبيصة عن النبي: «**إن المسألة لا تحل إلا لا حد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال: سدادا من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكلها صاحبها سحتا**».

فالتوكل مع إسقاط هذا الطلب والسؤال هو محض العبودية

٣/ التوكل مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل وهي أن يعلم أن مِلكة الحق تعالى للأشياء هي مِلكة عزة لا يشاركه فيها مشارك فيكل شركته إليه فإن من ضرورة العبودية: أن يعلم العبد: أن الحق سبحانه هو مالك الأشياء وحده

فالتوكل: محض الاعتماد والثقة والسكون إلى من له الأمر كله وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون: من أقوى أسباب توكله وأعظم دواعيه

فإذا تحقق ذلك علما ومعرفة وباشر قلبه حالا: لم يجد بدا من اعتماد قلبه على الحق وحده وثقته به وسكونه إليه وحده وطمأنينته به وحده لعلمه أن حاجاته وفاقاته وضروراته وجميع مصالحه كلها بيده وحده لا بيد غيره فأين يجد قلبه مناصا من التوكل بعد هذا

الأدب مع الحبيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

❁ أولا: معرفة قدر النبي ﷺ قدر النبي محمد:

تفضل الله تعالى باختيار واصطفاء من شاء من عباده لمهمة النبوة والرسالة لذا قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (سورة الحج، آية(٧٥).

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (سورة آل عمران)

وقال: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (سورة الأعراف، آية(١٤٤)

وهذا الاصطفاء والاختيار منة إلهية امتن الله بها على الأنبياء والمرسلين فلم يصلوا إليها بكسب ولا جهد، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا بها كما يزعم الضلال من الفلا سفة. حيث ذهبوا إلى أن النبوة مكتسبة وأن من هذب نفسه بالخلوة والعبادة وأخلى نفسه عن الشواغل العائقة عن المشاهدة، وراض نفسه، وهذبها، تهيأ للنبوة.

وبناء على ذلك قالوا إن النبي هو من اجتمعت فيه ثلاث خصال:

أن يكون له اطلاع على المغيبات لصفاء جوهره وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة تعلم ولا تعليم

أن تظهر على يديه خوارق العادات بحيث يؤثر بنفسه في قوى العالم المادي.

مشاهدة الملائكة لا أرواحها لما عنده من قوة التخيل، ويسمع كلامهم ووحيهم إليه.

وبالتالي فإن مرجع الوحي عندهم إلى قوة الخيال لدى النبي لا أن الوحى ينزل عليه حقيقة، فالقرآن إذا من عند النبي (لوامع الأنوار البهية لشرح الدرة المضية للسفاريني ٢/ ٢٦٨).

وقد كذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة يونس).

فالنبوة والرسالة محض فضل من الله يختص به من شاء من عباده، وهو سبحانه أعلم بمواقع فضله، ومحال رضاه، وأعلم بمن يصلح لهذا الشأن، فهو سبحانه صاحب الخلق والتدبير، والاختيار والاصطفاء،؟

قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (سورة القصص).

وقال: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة الأنعام، آية(١٢٤).

ومادامت النبوة تفضل من الله واصطفاء منه سبحانه وتعالى تجده قد خص المصطفين بخصائص ليست موجودة في سائر البشر.

فالرسل أكمل البشر خلقا وخلقا، وأرجحهم عقلا، وأوفرهم ذكاء، وأبرهم قلبا. وهذا شأن جميع الأنبياء والمرسلين.

والرسول حينما اصطفاه الله لمهمة الرسالة الخاتمة، خصه بخصائص ليست في غيره، وهيأه تهيأة خاصة تتناسب مع هذه المهمة الجليلة.

وتبدو الفوارق بين الرسل وغيرهم من جهات شتى منها:

١- عراقة النسب:

طهر الله نسبه من سفاح الجاهلية. فتنقل بين الأصلاب الطاهرة والأرحام الطاهرة وكانت القبائل التي إنحدر منا أباؤه وأمهاته أساس الشرف والسؤدد. فنال عراقة النسب.

روى مسلم بسنده من حديث واثلة بن الأسقع (قال: قال رسول الله: «(**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بنى هاشم**» (صحيح مسلم، كتاب الفضائل برقم ٧٠٦٦).

٢- تعهد الله برعايته وحفظه:

وذلك أنه نشأ على الفطرة الزكية فلم يتدنس بشيء من أدران الجاهلية لأن الله حفظه منذ صغره، فحفظ قلبه من تغيير الفطرة ووصول الشيطان إليه أخرج الإمام مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: «**هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ**». ثُمَّ غَسَلَهُ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لا مَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِى مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِى ظِئْرَهُ - فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِى صَدْرِهِ. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم ٤٣١).

فنشأ رسول الله (على الأخلاق الزاكية والخصال الحميدة، والفطرة النقية السليمة، فبغضت إليه الأوثان فلم يسجد لصنم قط، وحبب إليه الخير ومكارم

الأخلاق

العصمة:

وكما حفظ الله قلب نبيه (وفطرته. فكذلك عصمه من وجوه كثيرة، منها: - عصمته من تسلط أعدائه عليه بالقتل أو منعه من تبليغ رسالة ربه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الأنفال).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (سورة المائدة، آية(٦٧).

وأخرج البخاري بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رضى الله عنهما - أَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِى وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِى الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، قَالَ جَابِرٌ فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا، فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِىٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِى، وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَهْوَ فِى يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِى: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى؟ قُلْتُ اللهُ. فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ**». ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. أطرافه، ٢٩١٠، ٢٩١٣، ٤١٣٤، ٤١٣٦ - تحفة ٢٢٧٦ - ١٤٧/ ٥

(صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب غزوة ذات الرقاع).

عصمته (من كل ما يقدح في نبوته، أو ينفر الناس عن دعوته فكان رسول الله ﷺ أبعد الناس عن الآثم، متنزها من كل ما يعيب أو يشين البشر في سلوكهم، بعيدا عن سفاسف الجاهلية.

عصمته من الخطأ والنسيان والكذب والكتمان فيما يبلغه عن ربه فقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾﴾ (سورة النجم).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة المائدة، آية(٦٧).

٤ - تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا:

فكان رسول الله ﷺ أكمل الناس خلقا من حيث جمال صورته، وتناسب أعضائه، وطيب ريحه وعرقه، ونظافة جسمه، واكتمال قواه البدنية والعقلية، كما كان أكمل الناس خلقا إذ جمع محاسن الأخلاق وكريم الشمائل، وجميل السجايا والطباع. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (سورة القلم) وقد وعت كتب الشمائل والسير شمائله وأخلاقه، وصفاته ﷺ.

٥ - تشريفه بنزول الوحي عليه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ ولا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ (سورة الشورى، آية(٥٢).

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ (سورة يوسف).

٦ - كونه خاتم النبيين:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ (سورة الأحزاب).

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ٤ / ٢٢٦، ومسلم، كتاب الفضائل باب ذكر

كونه ﷺ خاتم النبيين، ٤ / ١٧٩١).

اختياره واصطفاؤه لمقام النبوة والرسالة، إذ لا يختار الله لهذا الأمر إلا من أحبهم وارتضاهم.

كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب].

(ب) تشريفه ﷺ بإنزال القرآن عليه.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ولا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر].

(ج) إكرامه ﷺ بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره وإعلاء قدره قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح].

(د) تكريمه بصلاة الله وملائكته عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. والصلاة من الله تتضمن الثناء عليه ومن الملائكة الدعاء له ﷺ.

(هـ) تشريفه بمقام الخلة، وهي أرفع درجة من المحبة، ولم ينلها من الأنبياء

سوى إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أن رسول الله ﷺ خليل الرحمن كما كان إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن.

أخرج مسلم كتاب المساجد. باب النهي عن بناء القبور مساجد ١ / ٣٧٥-٣٧٦.بسنده عن جندب قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. الا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**».

(و) إن الله جعله رحمة للعالمين، الإنس والجن، رحمة للمؤمنين منهم، بالعز في الدنيا والنجاة في الآخرة، وللكافرين بإمهالهم وتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء).

قال ابن القيم: (وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ إنه باق على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه المحاربون له، فالذين عجّل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له. وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل

الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها. (جلاء الأفهام ص٩٨ - ٩٩.).

وأخرج مسلم كتاب البر والآداب والصلة. باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤ / ٢٠٠٦- ٢٠٠٧.بسنده عن أبي هريرة قال: قيل لرسول الله: ادع على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعَّانا، وإنما بعثت رحمة**».

(ز) ما خصه الله به وفضله على سائر الأنبياء، كإحلال الغنائم له، ونصرته بالرعب مسيرة شهر.

كما في الحديث الذي أخرجه البخاري كتاب التيمم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لا حد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**».

(ج) تشريفه وتكريمه يوم القيامة بكونه صاحب المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في أن يقضي الله بين الخلائق.

وكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وأول من تفتح له أبواب الجنة. إلى غير ذلك من وجوه التكريم والتشريف لنبينا محمد ﷺ والتي تعد من أقوى الدوافع إلى محبته.

❁ ثالثا: كمال رأفته ورحمته بأمته وحرصه على هدايتها وإنقاذها من الهلكة:

حتى كادت أن تذهب نفسه أسفا على قومه ألا يكونوا مؤمنين كما قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

وقال تعالى. سورة آل عمران، آية﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾.

وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ۝٣٣﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى. منها ما أخرجه البخاري.في كتاب المغازي. باب غزوة الطائف ٥ / ٢٠٠. ومسلم. كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه، ٢ / ٧٣٨ عن عبد الله بن زيد قال: (لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسَّم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم رسول الله فقال: «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟**» كلما قال شيئاَ قالوا: الله ورسوله أمن. قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**» قال: كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن. قال: «**لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة،**

لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

ومنها ما أخرجه مسلم في كتاب الإيمان. باب دعاء النبي ﷺ لا مته وبكائه شفقة عليهم، ١ / ١٩١ .بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «**أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم**: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾. **الآية**.

وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **فرفع يديه وقال «اللهم! أمتي أمتي»** وبكى. فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم- فسله، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. وهو أعلم. فقال الله يا جبريل «**اذهب إلى محمد فقل: أنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**».

ومنها ما أخرجه البخاري في. كتاب الدعوات. باب لكل نبي دعوة مستجابة. ٨ / ٨٢. ومسلم في كتاب الإيمان. باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لا مته ١ / ١٨٩ - واللفظ له عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته. وإني اختبأت دعوتي شفاعة لا متي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**» (٤).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبين حدب النبي ﷺ وشفقته على أمته ورحمته بها.

وجدير بمن كان بمثل هذه الشفقة والرحمة أن تتوجه قلوب المسلمين بكليتها إلى محبته وأن تجعل من حبه وسيلة قربى وزلفى إلى الله عز وجل.

رابعا: كمال نصحه لا مته وهدايته لها وإحسانه إليها: إذ دل الأمة على كل

خير يقربها إلى ربها، وحذرها من كل شر يجلب لها الذل والخزي في الدنيا والعذاب والنكال في الآخرة. فأصبح العز والتمكين في الدنيا والسعادة والنعيم في الآخرة متوقفا على اتباع منهجه وسلوك سبيله. كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

وإذا كان الإنسان بفطرته يحب من نصحه أو أحسن إليه مرة أو مرتين فما بالنا بالناصح الأمين البر الشفيق على أمته والذي كانت حياته كلها نصحا لا مته وتعليما لها وتزكية لا رواحها وأبدانها. وهو الذي هدى البشرية- بإذن ربها- إلى الصراط المستقيم بعدما كانت تعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، ولولا رحمة الله للناس ببعثته ورسالته لعاش الناس في بحار الظلمات تتقاذفهم الأمواج فلا يجدون إلى ساحل الهداية سبيلا.

يقول الله عز وجل في سورة آل عمران﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾.

لأجل هذا كانت المنة ببعثة النبي ﷺ عظيمة، والنعمة بذلك جسيمة. ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من أدرك الفرق بين الهدى والضلال وبين الجاهلية والإسلام وبين رضى الله وسخطه.

فمن عرف هذا الفرق وأدركه إدراكا يقينيا علم عظم هذه النعمة التي لا تعادلها نعمة على ظهر الأرض، وأحب الرسول ﷺ بكل قلبه وآثر حب الله

ورسوله على ما سواهما

الثاني: أن الله تعالى قد أوجب له الأدب عليه الصلاة والسلام على كل مؤمن ومؤمنة؛ وذلك بصريح كلامه عز وجل إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (الحجرات).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (الحجرات: ٢)

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ (الحجرات: ٣).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا﴾ (الحجرات: ٤-٥).

وقال: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣).

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢).

٢- أن الله تعالى قد فرض على المؤمنين طاعته وأوجب محبته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (محمد: ٣٣).

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور: ٦٣).

وقال: ﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(الحشر: ٧)

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١) مَن وجبت طاعته وحرمت مخالفته لزم التأدب معه في جميع الأحوال.

٣- أن الله عز وجل قد حكَّمه فجعله إمامًا وحاكمًا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

الأمة الإسلامية تعيش- منذ فترة- موجةَ عداء ضد عقيدتها، ومقدساتها وقيمها، بدأت منذ بداية الدعوة الإسلامية؛ حيث وصَمَ المشركون النبي الكريم ﷺ بعباراتٍ كثيرةٍ منها أنه ساحرٌ وكاهنٌ وشاعر، ومجنون، ودائمًا كان القرآن الكريم يرد عنه ﷺ ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ولا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ (الطور: ٢٩) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الحاقة: ٤١).

وهذا يدل على مكانة النبي الكريم ﷺ عند ربه، وقد أوجب الله على المؤمنين محبته وتعظيمه، وهذا من معالم كمال الإيمان «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله، وولده، والناس أجمعين**».

وتعظيم نبينا محمد ﷺ من صُلب إيمان المسلم، فهو خليل الله المصطفى من خلقه، وخاتم الأنبياء الذي بانتهاء رسالته انقطع وحي السماء، ولم يغفل المسلمون- منذ جيل الصحابة الكرام- عن قدر رسول الله ﷺ وعن محبَّته، وتعظيمه.

وعظمة رسول الله ﷺ في نفوسنا أعلى من قُبَّة الفلك، ولن يَنَال منها أي أفاك أو جاحد، فلولاه ﷺ لكنَّا حيارى في دياجير الظلام.

وما قام به البعض من الإساءة لرسولنا الكريم ﷺ من خلال رسومات في صحف دنماركية، ونرويجية، وفرنسية وغيرها، إنما هي سلسلة وحلقة من الإساءة للإسلام في شخصه الكريم، وهذا يدل على حقدهم الدفين لهذا الدين

العظيم، وسيُرد هذا العبث إلى نحورهم، وستبوء محاولاتهم بالفشل بهذا التفكير العبثي الذي أرادوا به النيل المُشِين من نبي الإسلام محمدٍ ﷺ وبعيدًا عن كل التبريرات التي حاول مسئولو الصحيفة تقديمها، وفي مقدمتها أنهم أرادوا أن يستشعروا مدى تقديس المسلمين لنبيهم، وبدعوى حرية الرأي والتعبير التي يعتبرونها، واجبًا يفوق بقداسته قداسة الأديان وحرمتها، في الوقت الذي أقاموا الدنيا، ولم يقعدوها حينما نشر المفكر الفرنسي "روجيه جارودي" كتابه "الأساطير المُؤسسة للدولة الإسرائيلية" فحاكموه وصادروا كتابه بتهمة معاداة السامية، وكذلك عندما قامت مجموعة من حركة طالبان في أفغانستان بتدمير تمثال "بوذا" فتحرَّك العالم الغربي ضدهم وقالوا إنهم يحاربون الأديان ممن يخالفونهم في العقيدة.

ونحن من جانبنا نعلم أنه لا شيء أشرف من كرامة رسول الله ﷺ، وأنه آخر الحصون التي بقيت ملاذنا، بعد أن سقطت كل حصوننا في معارك الشرف والنزاهة والمعرفة.. وأنه إن مسَّ اسمه بسوء، وهو الطاهر المُطهَّر، فإن العالم بأسره سيشهد ما ستسفر عنه هذه الحرب القذرة، وعلينا أن نعي أن الجناب النبوي أعظم، وأشرف من أن تناله حفنة من التائهين في ميدان الحياة بسوء.

عذراً رسول الله لم يعرفوا قدرك حين نادَوا باسمِك وشوهوا رسمكْ

هم لم يفعلوا ما فعلوا إلا بجهلٍ ولو علموا الحقيقةَ لقبّلوا قدمك

لو علموا أنّك المصباحُ المنيرُ لما قبلوا الاستضاءةَ إلا بضوئك

وليقرأ هؤلاء الذين لا يعرفون قدر النبي الكريم ﷺ ما سطَّره بعض الغربيين المنصفين: يقول "سيروليام موير" في كتابه "سيرة محمد" ﷺ: "امتاز محمد بوضوح كلامه، ويُسر دينه، وأنه أتمَّ من الأعمال ما يُدهِش الألباب، فلم يشهد التاريخ مُصلِحًا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن

قصير كما فعل محمد".

ويقول "توماس كارليل" الفيلسوف الإنجليزي في كتابه (الأبطال): "قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لا يؤبَه لهم، فلما جاءهم النبي العربي أصبحوا قبلةَ الأنظار في العلوم والعرفان، وكثروا بعد قلة، وعزُّوا بعد ذلة، ولم يمضِ قرنٌ حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم".

وعلينا كمسلمين، شعوبًا وحكوماتٍ، أن نتحرَّك لردِّ هذه الهجمة الشرسة عن الإسلام ورسوله بشتى السبل والوسائل، ومن ذلك:

- قيام الحكومات العربية والإسلامية بالضغط على الهيئات الدولية لسنِّ قوانين تحمي المقدسات والأنبياء، ومقاطعة حكومات الدول التي تصدر بها تلك الصحف سياسيًّا واقتصاديًّا؛ حيث كان رد فعل أغلبها سلبيًّا تجاه الأزمة.

- ومن واجبات الأمة حيال هذا الأمر أن يقوموا بمقاطعة بضائع كلِّ مَن تجرَّأ على سبِّ رسول الله ﷺ، وواجبُ الحكوماتِ المقاطعة السياسية بسحب السفراء لدى تلك الدول، وإغلاق سفاراتها لديهم.

- إقامة المؤتمرات والندوات في أوروبا وأمريكا لمعالجة هذه القضية، وعرض نصاعة السيرة المشرَّفة، وعظمة الرسول الكريم ﷺ

عفوًا رسول الله، فقد تركتنا على المحجة البيضاء، وأورثتنا عزًّا ومنعة وكرامة ضاعت مع الأيام.. فقد تداعت علينا الأمم، وتكالبت علينا الأحداث، وأصبحنا نهبًا للقاصي والداني.. وليس ذلك من قلة؛ ولكنها غثاء كغثاء السيل.

ولا مجال لمعتذر.. ولا حجة لمقصر.. فكلنا شركاء في تلك المحنة التي ألمَّت بالأمة؛ حكامًا وشعوبًا، علماء وجمهورًا.

كيف نلقاك سيدي يوم اللقاء.. وبماذا نعتذر لك.. وقد لزِمتنا الحجة وقعدت منَّا الهمة..

حسبنا أننا نلتمس طريقك، ونترسم خطاك، ونعمل على تثبيت أركان دعوتك والعمل لها.. والله شهيد على ما نلقى في سبيل ذلك، حتى ممن ادَّعوا السير على سنتك والالتزام بدينك.

وإليكم إخواني مذكرًا.. في تلك الأيام المباركة الكريمة: "إن أمر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها".

وعلى ذلك فلا بد من العودة الصادقة النية إلى الله، وطلب العون منه، والاعتصام بحبله المتين، والأخذ بسنة رسولنا الكريم.. مهما واجهنا في ذلك من عنت المتنطعين، وزلفى المتربصين المترخصين، ثم التزام منهج جماعتنا الداعية إلى الحق والخير فى إطارٍ من الثقة في نصر الله، معتزين بالأخوة الصادقة التي تعين على تخطي الصعاب ومواجهة العقبات، والالتفاف حول قيادتنا الرشيدة في وعي وإدراك وفهم.

ودعاء من القلب للمجاهدين الصابرين المحتسبين أن ينصرهم الله، ويحقق آمالهم، ويعلي رايتهم، وينكس أعلام الظلم والبغي والطغيان.

من الصغار عظماء أحبوا رسول الله وعظموه وعزروه ووقروه وغضبوا من أجله وانتصروا ممن أساء إليه، وإليكم الأمثلة التالية:

١/ غيرة المعاذين كما جاء في صحيح البخارى -حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ الْمَاجِشُونِ عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِى الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِى وَشِمَالِى فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِى أَحَدُهُمَا فَقَالَ يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ قُلْتُ نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِى قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِى سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِى الآخَرُ فَقَالَ لِى مِثْلَهَا،

فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِى جَهْلٍ يَجُولُ فِى النَّاسِ، قُلْتُ أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِى سَأَلْتُمَانِى. فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهُ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ**». قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا**». قَالاَ لا. فَنَظَرَ فِى السَّيْفَيْنِ فَقَالَ «**كِلاَكُمَا قَتَلَهُ**». سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ. وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ. طرفاه ٣٩٦٤، ٣٩٨٨ - تحفة ٩٧٠٩ - ٤/ ١١٢

٢/ - غيرة الغلام زيد بن الأرقم والابن عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول:

(أ) الغلام زيد بن الأرقم: في غزوة بني المصطلق حينما تطاول زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بأقواله اللئيمة في غيبة الصحابة الكبار وكان بجواره غلام صغير هو (زيد بن أرقم) فلم يعره اهتمامًا ظنًا منه أنَّ صغارنا لا تغضب لرسول الله ﷺ فقال كلماته المجرمة: "لا تنفقوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضوا" وقال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل".

وعلى الفور سارع الغلام الأبي بالذهاب لرسول الله- (- يُخبره لتأديب رأس الأفعى وكبير المنافقين على أقواله في حقِّ رسول الله ﷺ.

وعلم عبد الله بن أُبي أنَّ زيدًا أخبر الرسول- بما قاله، فأسرع إلى رسول الله- يحلف له كذبًا أنه ما قال شيئًا، ودافع بعض الحاضرين عنه، فقالوا: عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل لصغرِ سنه، وإذا بالقرآن ينزل فيفضح المنافق عبد الله بن أُبي ويصدق الغلام الأبي زيد بن أرقم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴿٨﴾﴾ (المنافقون).ورواه البخاري في صحيحه برقم٤٩٠٥).

٣/ – غيرة أطفال البحرين على رسول الله– (– في عهد عمر بن الخطاب:

رُوي أنَّ غلمانًا من أهلِ البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة (الصولجان عصاة مثنية من النهاية مثل الجَولف) وأسقف البحرين قاعد (الأسقف: منصب عند النصارى فوق القسيس ودون المطران) فإذا بالكرة تقع على صدرِ الأسقف فأخذها فذهب له الغلمان وقالوا له: من فضلك أعطنا الكرة.. فقال الرجل: لن أعطيكم إياها، فقال له أحد الغلمان: أقسم عليك بمحمد بن عبد الله– أن تُعطينا الكرة.. فإذا بالرجل يسبهم ويسب رسول الله– فقاموا إلى ما معهم من عصي فرفعوها وضربوا الرجل ضربًا حتى قتلوه فوصل الخبر إلى سيدنا عمر بن الخطاب؛ يقول الراوي: ففرح بهذا الأمر فرحًا ما رأيناه في فتح ولا غنيمة فلمَّا سُئل في ذلك قال: **"الآن عزَّ الإسلام هؤلاء أطفال، سُبَّ أمامهم نبيهم فغضبوا له وانتصروا"**.

نعم إنها المعادلة المتوالية التي يسلم بعضها إلى بعض: (فعلى قدر الإيمان يكون الحب والتعظيم والتوقير وعلى قدر الحب والتعظيم والتوقير تكون النصرة والحمية والغضبة والدفاع).

وبعد إذا كانت هذه هي غضبة صغارنا وحميتهم ونصرتهم لرسول الله ﷺ فما هو المنتظر من كبارنا وقادتنا ومسئولينا: فصغارنا عظماء وشعوبنا نِعْمَ الشعوب وأمتنا خير أمة ولا ينقصها سوى غضبة حمزة أو نخوة المعتصم أو حمية صلاح الدين أو كرامة هارون الرشيد؛ وحالة التقاعس والتخاذل والاستكانة والتخلف عن نصرة رسول الله تفسرها المعادلة سالفة الذكر فهي مقدمات تؤدي إلى نتائج وإن شئت فقل نتائج تنبني على مقدمات: إيمان. محبة. نصرة

وهذه المعادلة هي برنامج العمل الذي يجب أن تعمل عليه الأمة ودعاتها ليل نهار بتوضيح محاسن رسول الله وفضله وعظمته عبر تدريس سيرته

العظيمة، وبالتالي يزداد الإيمان به وتكتمل المعادلة بالمحبة والنصرة له؛ فتكون لهذه الأمة عزة ومكانة وكرامة بين الأمم يعمل على حفظها الصغار قبل الكبار

السلام عليك يا رسول الله.. السلام عليك يا حبيب الله..

نشهد أنك قد أديت الأمانة وبلغت الرسالة ونصحت الأمة وجاهدت في سبيل الله حتى آتاك اليقين، ونُشهد الله تعالى على أننا نحبك يا سيدي يا رسول الله، ونحب مَن يحبك، راجين المولى أن يحشرنا بفضله وعفوه ثم بذخر هذه المحبةِ معك، ويوردنا حوضك، نشرب بيدك الشريفة منه شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

ولا شك أنها سعادةٌ كبرى وفرحةٌ عظمى نحس بها ونحن نسترجع جوانب من سيرتك العطرة في ذكرى مولدك الشريف ونقوي بها إيماننا ونشحذ بها هممنا ونملأ عواطفنا من غير تبديل ولا ابتداع ولا تقليل.

فنحن نحبك حب المتبع لهديك السائر على ضوء مشكاتك الربانية.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب).

نحبك يا مَن أرسلك ربك رحمةً للعالمين.

❁ نحبك يا سيدي يا رسول الله لأن:

محبتك من شروط الإيمان «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

محبتك ﷺ سبب لحب الله لنا.. قال أصحاب رسول الله: يا رسول الله إنا نحب ربنا حبًّا شديدًا فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

❁ نحبك لأنْ:

محبتك سببٌ لحصول حلاوة الإيمان في القلب "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمانِ: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحب المرءَ لا يُحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار**».

محبتك سبب لمرافقتك في الجنة: سأل صحابي رسول الله: إنَّ الرجلَ يحب القوم ولم يلحق بهم، فقال: «**المرء مع من أحب**».

لأنك الأسوة الحسنة لمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا:

قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

نحبك لأنك أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

نحبك ﷺ لأنك دعوة إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة).

ولأنك بشارة عيسى وموسى، قال ﷺ "**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى**".

نحبك لأنك طاهر النسب صادق اللسان أمين الخلق.

نحبك ﷺ لأن الله أقسم بحياتك دون غيرك من البشر ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر].

لأنك بلَّغت الرسالةَ وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في سبيلِ الله حتى أتاك اليقين فسلامٌ عليك.

نحبك ﷺ لأنك نموذج للتكامل البشري والسمو الإنساني وأنت المثل

الأعلى في ذلك فقد أدبك ربك فأحسن تأديبك.

ولم تجتمع صفاتك وشمائلك وخصالك المتكاملة فيبشر غيرك عبر الزمان.

قال ﷺ: «**إنما بعثت لا تمم مكارم الأخلاق**».

وقال عنك ربك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم).

وإذا كنا نحب رسول الله فإنَّ الحب لا بد له من واقع يترجمه.. فلنتعاهد على:

طاعته فيما أمر، فمن لا يتبع الرسول- (فإنه يدعي الحب ولا يحب فإنَّ المحبَ لمَن يُحب مطيع ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران).

روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كنت ساقي القوم، يوم حُرمت الخمر، في بيت أبي طلحة. وما شرابهم إلا الفضيح: البسر والتمر. فإذا منادٍ ينادي. فقال: اخرج فانظر. فخرجت فإذا منادٍ ينادي: ألا إنَّ الخمر قد حُرِّمت. قال فجرت في سككِ المدينة. فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها. فهرقتها".

ومن مظاهر المحبة أن يكون هوانا تبعًا لما جاء به "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به".

فقدم مراده على مرادنا قولاً وفعلاً.

أن يكون أحب إلينا من الأهل والمال والنفس والناس أجمعين.

قال عمر ﷺ لرسول الله ﷺ"لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي" فقال ﷺ: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" قال عمر:

فإنك الآن والله لا نت أحب إليَّ من نفسي فقال ﷺ الآن يا عمر.

نصرة سنته والذب عن شريعته فقد بذل ﷺ وهو حبيب الرحمن جميع طاقاته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وإنقاذهم من النار بذل أقصى جهده لتكون كلمة الله هي العليا.

وكذلك فعل أصحابه المحبون الصادقون معه وبعده.

فهذا أبو بكر يهاجر بماله كله وبنفسه ويترك عياله ليس لهم إلا الله.

وهذا أنس بن النضر في أحد يقول لا خوانه حين رآهم جالسين والحزن يكسوهم: ما يجلسكم قالوا قُتل رسول الله.

قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل فما عرفته أخته إلا ببنانه.

وهذا أبو بكر الصديق يتصدى لمَن منع الزكاة ويقول: لا ينقص الدين وأنا حي.

❁ **الدعاء والتمني أنْ يحشرنا الله معه في الجنة.**

فقد جاء في صحيح مسلم أن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه كان يبيت عند رسول الله فأتى الرسول بوضوئه وحاجته فقال له ﷺ: «**سل**».

فقال ربيعة: يا رسول الله اسألك مرافقتك في الجنة فقال: «**أو غير ذلك؟**».

فقال ربيعة: هو ذاك.

فقال ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**».

روى سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصارِ إلى رسول الله وهو محزون فقال له النبي: يا فلا ن مالي أراك محزونًا قال: يا نبي الله شيء فكرت فيه، فقال ما هو قال: نحن نروح ونغدو وننظر إلى وجهك ونجالسك وغدًا ترفع مع

النبيين فلا نصل إليك فلم يرد عليه النبي شيئًا فأتاه جبريل بهذه الآية الكريمة ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ النساء. فأرسل إليه النبي يُبشره.

أن نحس بأن فقد رؤيته أشد علينا من فقد أي شيء من الدنيا.. قال ﷺ في ما معناه «**مَن ابتلي بفقدِ عزيز فليتأس بمصيبة فقدي**».

الاستعداد التام لبذلِ النفس والأموال دونه.

جاء في سيرةِ ابن هشام أن زيدًا يقول له أبو سفيان- وكان لا يزال على الشرك-: أنشدك الله يا زيد أتحب محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله لا أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه فتصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي.

وهذا سعد بن الربيع بعد أحد يتفقده رسول الله وأصحابه فوجده أحدهم جريحًا وبه رمق فقال له: إن رسول الله أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟. قال: أنا في الأموات فابلغ رسول الله عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته. وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذرَ لكم عند الله أن خَلُصَ إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ثم مات.

كثرة الصلاة عليه والدعاء له بالوسيلة والدرجة العالية الرفيعة بعد كل أذان وليلة الجمعة ويومه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

❁ محبة آل بيته والدعاء لهم والذود عن سيرتهم.

فقد قال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها اغضبني**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من سبَّ عليًّا فقد سبني**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الله الله في أهل بيتي**».

ومظاهر محبته أن لا نرضى بحكمٍ أو رأي أو شرع يُخالف ما جاء به من الكتاب أو ما كانت عليه سنته وحكمه ونقدم سنته وحكمه على كل رأي وسنة وحكم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

لقد ورد لفظ النبي (محمد) في القرآن الكريم أربع مرات بلفظٍ مباشر "محمد" في أربع سور مدنية، بمعنى أنها نزلت بعد هجرة النبي ﷺ أو وهو في طريقه إلى المدينة، وهي سور: آل عمران، الأحزاب، محمد، الفتح.

فقد جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

حيث وقع فِي قلوب كثير من النَّاس وَاعتقدوا- وهم في غزوة أحد- أن رسول الله ﷺ قد قتل وجوَّزُوا عليه ذلك كما قص الله في القرآن الكريم عن كثير من الأنبياء، فحصل ضعف ووهن وتأخرٌ عن القتال وأصاب الصحابةَ الوهنُ والضعف والخور، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة تبين لهم أن محمدًا بشرٌ يجوز عليه القتل أو الموت، لكن الذي لا يجوز هو أن يخور المسلمون من بعده أو يضعفوا أو ينقلبوا على أعقابهم.

وجاء في سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ

وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴿٤٠﴾ [الأحزاب]

نفيٌ قاطع لقضية التبني التي فهم منها البعض أن زيد بن حارثة ابنٌ للنبي محمد بالتبني بل وإقرارٌ إلهي بأن النبي محمدًا لم يعش له ذكر حتى بلغ سن الحلم، بل لقد مات أولاده الذكور وهم أطفال، فليس للنبي محمد ولدٌ من نسله عاش حتى بلغ سن الرشد وصار رجلاً، ولكنه فقط ما كان إلا رسولَ الله للعالمين وخاتم النبيين، ومن كان خاتمَ النبيين فهو بطريق الأولى خاتم المرسلين، وقد كان اختيار الله بأن يكون نبيه محمدًا من دون ولد رجل يعيش بعده ويحمل اسمه من منطلق قوله ؟اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ؟ فهو أعلم بكل شيء جل وعلا.

وفي سورة محمد يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [محمد].

هذه هي الآية الثانية من سورة محمد أو كما سُميت بـ(سورة القتال) والآية التي قبلها تقول ﴿الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾﴾ وتبين مآل الكافرين الصادِّين عن سبيل الله، وأن أعمالهم في ضلال وهلاك، ثم تأتي الآية الثانية التي تبين جزاء وثواب المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن الله يكفر عنهم سيئاتهم ويصلح بالهم، ولكنَّ ذكْرَ ﴿وَآمَنوا بِما نُزِّل عَلَى محمدٍ﴾ يفيد معنًى آخرَ عظيمًا، وهو العناية بشأن النبي محمد ﷺ والعناية بشأن ما نزل عليه؛ ما يدل على أن الإيمان بالنبي محمد وما نزل عليه شرطٌ للإيمان كله، وأنه لا يقبل إيمانًا ولا عملاً من أحد كائنًا من كان إلا بعد إيمانه بالنبي محمد ﷺ.

وتُختتم سورة الفتح بالآية (٢٩) حيث يقول ربنا جل وعلا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

إخبار من الله العلي بأن الرسول محمدًا رسول الله حقًّا بلا أدنى شك أو ريب، فالآية تبين في عظيم بلاغتها مهمة الرسول محمد ﷺ، وتثبت له بلا شك الرسالةَ الخاتمةَ، ثم جاء الثناء بعد ذلك على أصحابه الكرام، وهذه صفتهم أن الواحد منهم شديدٌ على الكافر رحيمٌ كل الرحمة بأخيه المسلم.

معنى محمد..

ومحمد هو أشهر أسمائه ﷺ، وبه سُمِّي في التوراة صريحًا كما جاء في كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام) أما من جهة المعنى فـ"محمد" اسم مفعول من حمد، فهو محمد إذا كان كثير الخصال التي يُحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود؛ فإن محمودًا من الثلاثي المجرد ومحمد من المضعف للمبالغة، فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ولهذا- والله أعلم- سمِّي به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وُصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنَّى موسى- عليه الصلاة والسلام- أن يكون منهم.

❁المسيح يؤمن بالنبي محمد ويبشِّر بنبوته:

ولقد انفرد اسم "أحمد"- من أسماء النبي محمد ﷺ- بسورة الصف، وانفردت هي به أيضًا، بل لقد ورد مسبوقًا بكلمة (اسمه) ليدل دلالةً واضحةً على ثبوت هذا الاسم عليه ﷺ.. قال الله تعالى في سورة الصف في الآية (٦) على لسان عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

والآية تبين بيانًا لا لبس فيه أن النبي عيسى ابن مريم آمن بنبي سابقٍ وهو موسى عليه الصلاة والسلام وصدَّق به وآمن برسول لا حق، بل بشر به وهو محمد ﷺ، ويحكي القرآن حال بني إسرائيل بعد ما جاءهم محمدٌ ﷺ بالبينات أن قالوا هذا سحرٌ مبين، ومعلومٌ أن محمدًا ﷺ لم يكن قد جاء، فهي معجزة يخبِر بها عيسى قومه قبل أن تحدث وما على من آمن بعيسى عليه السلام إلا أن يؤمن بمحمد ﷺ؛ إذ كيف يدَّعي أحدٌ الإيمانَ بالنبي عيسى ثم لا يؤمن بما بشَّر به، و"أحمد" هو الاسم الذي سمَّاه به المسيح.

ومعنى أحمد:

وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضًا من الحمد، وقد اختلف الناس فيه: هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟! وسبب الخلاف هل يأتي أفعل التفضيل من فعل الفاعل أو من الفعل الواقع على المفعول، فقالت طائفة بالأول وعليه فهو بمعنى الفاعل أي حَمْدُه لله أكثر من حَمدِ غيره له، فمعناه أحمَد الحامدين لربه، وقالت طائفة أخرى بالرأي الثاني وعلى قولهم يكون المعنى أنه أحق الناس وأولاهم بأن يُحمَد فيكون كمحمَّد في المعنى، إلا أن الفرق بينهما أن محمدًا هو كثير الخصال التي يُحمَد عليها وأحمد هو الذي يُحمد أفضل مما يُحمَد غيره، فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره، فيحمد أكثرَ حمدٍ وأفضلَ حمدٍ حمدَه البشر.

فالاسمان "محمد" و"أحمد" واقعان على المفعول، وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى، ولو أريد معنى الفاعل لسُمِّي الحمَّاد أي كثير الحمد؛ فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمدًا لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به

الحمَّاد كما سميت بذلك أمته.

السور التي تحدثت عن النبي محمد:

وبنظرة عامة إلى السور التي تضمَّنت كلمة (محمد أو أحمد) وهي سور (آل عمران، الأحزاب، محمد، الفتح، والصف) نجد ما هو معجز حقًّا:

أولاً: كل السور الخمس التي وردت بها الكلمة مدنية، أي نزلت بعد هجرة المصطفى ﷺ من مكة.

ثانيًا: تنوعت صور عرض هذه الكلمة في كل سورة فقد جاءت في شان الموت ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران من الآية ١٤٤) وجاءت في شأن قضية اجتماعية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب من الآية ٤٠) وجاءت بشأن المدح والثناء عليه هو أصحابه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح من الآية ٢٩) وجاءت في شأن التأكيد على شرطية الإيمان بمحمد وبما جاء به، وجاءت في معرض البشارة بمقدم النبي محمد ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف من الآية ٦) وما دام الأمر بشرى فلا بد أن قدومه سيكون قدومَ خيرٍ وبركة على العالم أجمع.

ثالثًا: لكن صور العرض كلها اتفقت على أمرٍ واحد، وهو إثبات الرسالة والنبوة له ﷺ، فنرى ؟وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ؟.. ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.. ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾.. ﴿والذين آمنوا وعملو﴾ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

رابعًا: أنها سورٌ عُنيت بشأن القتال، فهي إما ترصد أحداث غزوة كسورة آل عمران (رصدت أحداث غزوة أحُد) والأحزاب (رصدت أعمال غزوة

الأحزاب أو الخندق) والفتح (رصدت أحداث صلح الحديبية) أو تُعلي من شأن القتال والجهاد في سبيل الله (كسورة محمد حتى قيل إنها سميت بسورة القتال) وكذا سورة الصف.. وفي هذا إلماحة عظيمة إلى أن إقرار نبوة النبي محمد ﷺ أمرٌ من المهمات التي شرع الجهاد لها.

خامسًا: وفوق كل هذا هو "محمد" و"أحمد" في ثوب البشر، فهو بشر مثلنا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، إلا أنه يوحى إليه أنما إلهنا إله واحد وليس كونه نبيًّا أو مقربًا من ربه يرفع عنه العبودية، بل هو عبد وبشر وإن رقى لدرجة العصمة والحفظ من ربه لكنه لا يرقى أبدًا لأن يكون إلهًا، ولعل في جعل سيدنا عيسى مبشرًا به دلالةً على أنه- وهو الذي ظلمه قومه بادعاء ألوهيته وهو بشر مثلهم- بشرية عيسى ومحمد إلا أنهما أوحي إليهما.

أسماء أخرى للنبي ﷺ :

ما أحسن ما أورد البخاري الذي قال حدثنا أبو اليمان حدثنا شُعَيب عن الزهري قال أخبرني مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ لِي أَسْمَاء: أَنَا مُحَمَّد، وَأَنَا أَحْمَد، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِهِ الْكُفْر، وَأَنَا الْحَاشِر الَّذِي يُحْشَر النَّاس عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِب**» وَرَوَاهُ مُسْلِم مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ نَحْوه)، وَقَالَ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيّ عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة عَنْ أَبِي عُبَيْدَة عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ سَمَّى لَنَا رَسُول الله ﷺ نَفْسه أَسْمَاء، مِنْهَا مَا حَفِظْنَا فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّد، وَأَنَا أَحْمَد، وَالْحَاشِر، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيّ الرَّحْمَة وَالتَّوْبَة وَالْمَلْحَمَة**».

ومنها المتوكل والفاتح والأمين ويلحق بها الشاهد والمبشر والبشير والنذير والقاسم والضحوك والقتال وعبد الله والسراج المنير وسيد ولد آدم وصاحب لواء الحمد وصاحب المقام المحمود وغير ذلك من الأسماء لأن أسماءه إذا كانت أوصافَ مدح فله من كل وصف اسم.

ويقسم ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) أسماء النبي ﷺ إلى نوعين:

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والمبشر والنذير ونبي الرحمة ونبي التوبة.

وأما إن جُعِل له من كل وصف من أوصافه اسمٌ تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق والرءوف الرحيم إلى أمثال ذلك، وفي هذا قال من قال من الناس إن لله ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم (قاله أبو الخطاب بن دحية ومقصوده الأوصاف).المتوكل جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ "محمد رسول الله عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخابٍ في الأسواق ولا يجزي بالسيئةِ السيئة، بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملةَ العوجاءَ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم؛ لأنه توكَّل على الله في إقامة الدين توكلاً لم يشركه فيه غيره.

الماحي:

هو الذي محا الله به الكفر ولم يُمحَ الكفرُ بأحد من الخلق ما مُحي بالنبي ﷺ فإنه بُعث وأهل الأرض كلهم كفارٌ إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عبَّاد أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين، وصابئة دهرية لا يعرفون ربًّا ولا معادًا، وبين عبَّاد الكواكب، وعبَّاد النار، وفلا سفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلَغ دينُه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

الحاشر:

وهو الذي يُحشر الناس على قدمه فكأنه بُعث ليُحشر الناس.

العاقب:

الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم؛ ولهذا سمِّي العاقب على الإطلاق أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

أولاد النبي ﷺ :

لقد وُلِدَ لَهُ ﷺ: الْقَاسِم الطَّيِّب وَالطَّاهِر مِنْ خَدِيجَة رضي الله عنها فَمَاتُوا صِغَارًا، وَوُلِدَ لَهُ ﷺ إِبْرَاهِيم مِنْ مَارِيَة الْقِبْطِيَّة فَمَاتَ أَيْضًا رَضِيعًا، وَكَانَ لَهُ ﷺ مِنْ خَدِيجَة أَرْبَع بَنَات: "زَيْنَب وَرُقَيَّة وَأُمّ كُلْثُوم وَفَاطِمَة رضي الله عنهن أَجْمَعِينَ فَمَاتَ فِي حَيَاته ثَلَاث وَتَأَخَّرَتْ فَاطِمَة رضي الله عنها حَتَّى أُصِيبَتْ بِهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَتْ بَعْده لِسِتَّةِ أَشْهُر.

أخرج البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ، جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ قَالَ ابْنُ مِهْرَانَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ".

وخرَّج البخاري فيما رواه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "بُعِثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه".

ومن هنا فإن النبي ﷺ أفضل الناس نسبًا، وأعلاهم شرفًا، وأزكاهم نفسًا، وأطهرهم قلبًا قال عن نفسه "إنما أنا رحمة مهداة" وقال عنه ربه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء).

ومن هنا فإن تعلم سيرته وقراءة حياته فيه من الخير العظيم والنفع الجليل لنا جميعًا ما من شأنه أن يأخذ بأيدينا إلى أقوم السبل وأرشد الطرق وأهدى الدروب.

قال صاحب كتاب (الرحيق المختوم): وُلِد سيد المرسلين ﷺ بشِعب بني هاشم بمكةَ في صبيحةِ يوم الإثنين التاسعِ من شهر ربيع الأول، لا ول عام من حادثة الفيل، ولا ربعين سنةً خلت من ملك كسرى أنو شروان، ويوافق ذلك عشرين أو اثنين وعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١م.

وروى ابن سعد أن أمَّ رسول الله ﷺ قالت: لما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاءت له قصورُ الشام، وروى أحمد والدارمي وغيرهما قريبًا من ذلك.

وقد رُوِيَ أن إرهاصاتٍ بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربعَ عشرةَ شرفةً من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت، روى ذلك الطبري والبيهقي وغيرهما، ولكن قيل إن هذه الرواية ليس لها إسنادٌ ثابت، ولم يشهد لها تاريخ تلك الأمم مع قوة دواعي التسجيل.

ولما ولدته أمُّه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسمَ محمد، وهذا الاسم لم يكن معروفًا في العرب، وخَتَنَه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون.. قال ابن إسحاق: فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جدِّه عبدِ المطلب أنه قد وُلد لك غلامٌ، فأتِه، فانظر إليه، فأتاه، فنظر إليه، وحدثته بما أتاها حين حملت به، وما قِيل لها فيه، وما أُمِرت به أن تُسمِّيَه، فيزعمون أن عبدَ المطلب أخذَه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به الى أمه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ الرضعاء.

وأول من أرضعته من المراضع- وذلك بعد أمه ﷺ بأسبوع- ثُوَيْبَة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يُقَال له: مَسْرُوح، وكانت قد أرضعت قبله حمزةَ بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمةَ بنِ عبدِ الأسد المخزومي.

وثويبة هذه كان لها شرف أن تكون أول من ألقمته ثديها، ومن أول يوم جاء فيه الحبيب محمد وهو يعلن أنه جاء ليحرر العبيد ويخلع عن الناس ربقة الذل والعبودية إلا لله، فما كان من أبي لهب عم الرسول إلا أن أعتقها فرحًا بمولد ابن أخيه!!

إرهاصات واقفت المولد:

- قالت آمنة بنت وهب أم النبي محمد ﷺ: لما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام.

- وروي أن إرهاصاتٍ بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت.

- ولقد رأت آمنة ابنة وهب أنها حين حملت برسول الله ﷺ قيل لها إنك قد حملت بسيدِ هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شرِّ كل حاسد، ثم سمِّيه محمدًا.

- قيس بن مخرمة قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، فنحن لدتان (اللِّدَة هو من ولد معك في وقت واحد).. قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ الأَنْصَارِيِّ قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال: والله إني لغلامٌ يفعه ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كلَّ ما سمعت، إذ سمعت يهوديًّا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا

إليه قالوا له ويلك ما لك؟! قال طلع الليلة نجمُ أحمد الذي وُلِد به.

قال ابن إسحاق فسألت سعيدَ بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله ﷺ المدينة؟ فقال ابن ستين، وقدمها رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين.

- وقد روي عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أم عثمان الثقفية- واسمها فاطمة بنت عبد الله- قالت "حضرت ولا دة رسول الله ﷺ فرأيت البيتَ حين وضع قد امتلأ نورًا، ورأيت النجومَ تدنو، حتى ظننتُ أنها ستقع عليَّ" (الطبري في التاريخ).

- كما أن الرسول ﷺ وُلِد معذورًا مسرورًا، أي مختونًا مقطوع السرة، يقال: عذر الصبي وأعذر إذا ختن، وكانت أمه تحدِّث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحواملُ من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك، ولما وضعته ﷺ وقع إلى الأرضِ مقبوضةً أصابعُ يديه، مشيرًا بالسبابة كالمسبِّح بها.

ولتسميته محمدًا قصة ذكر حديثَها عليّ القيرواني العابر في كتاب (البستان)؛ حيث قال: كان عبد المطلب قد رأى في منامه كأن سلسلةً من فضةٍ خرجت من ظهره لها طرفٌ في السماء وطرفٌ في الأرض وطرفٌ في المشرق وطرفٌ في المغرب، ثم عادت كأنها شجرةٌ على كل ورقةٍ منها نورٌ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فقصها، فعبرت له بمولودٍ يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سمَّاه محمدًا مع ما حدَّثته به أمه حين قيل لها: إنك حملت بسيدِ هذهِ الأمةِ، فإذا وضعتِه فسمِّيه محمدًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: /

وبعد: فإنّ حقوق المصطفى أجلّ وأكرم وأعظم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم، والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لا مر إذ أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم، فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن.

ثم إنه جلّ ثناؤه ألزمنا طاعته وتوعدنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة.

فحق علينا إذاً أن حبه ونجلّه ونعظمه ونهابه، فبهذا نكون من المفلحين ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [لأعراف]. فالآية بينت أن الفلا ح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف أن التعزير هنا التعظيم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح: ٨و٩].

وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الضمير في قوله جلّ شأنه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ راجع إلى رسول الله، ومعناه: تعظموا رسول الله وتفخموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومجالسته.

فهذه الآيات وغيرها نزلت لتبين مقام شرف رسول الله وعظيم منزلته عند ربه.

واعلم أن حرمة النبي بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لا زم كما كان حال

حياته ؛وذلك عند ذكره، وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته، وتعظيم أهل بيته وصحابته.

قال أبو إبراهيم التجيبي: "واجب على كل مؤمن متى ذكره ـ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقر ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ؛ ويتأدب بما أدبنا الله به ".

ولقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في صدق وتمام المحبة لرسول الله ﷺ.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للعباس رضي الله عنه: إن تسلم أحب إليّ من أن يسلم الخطاب ؛لأن ذلك أحب إلى رسول الله ﷺ.

وسئل على بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.

وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: "ماكان أحد أحب إليّ من رسول الله ولا أجلّ في عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ؛لأني لم أكن أملأ عيني منه.

قال ابن تيمية: " ومن حقه أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن حقه أن يحب أن يؤثره العطشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يحب أن يوقى بالأنفس والأموال، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لا هْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ولا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾[التوبة: من الآية١٢٠] فعلم أن رغبة الإنسان بنفسه أن يصيبه ما يصيب رسول الله من المشقة معه حرام.

وقال ابن قيم الجوزية: "فرأس الأدب مع الرسول: كمال التسليم له والانقياد لا مره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة بخيال باطل، يسميه معقولاً، أو يُحّمله شبهة أو شكـًا، أو يقدم عليه آراء الرجال،

وزبالات أذهانهم، فيوحد بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحّد المرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

وقال أيضـًا: "ومن الأدب معه ـ: أن لا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه، ولا يوقف قبول ما جاء به الرسول على موافقة أحد.

وإذا كانت محبة رسول الله ﷺ وتوقيره من أجل أعمال القلوب، وأفضل شعب الإيمان، فإن بغضه من أشنع الذنوب واخطرها، لقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر] فأخبر تعالى أن شانئه (أي مبغضه) هو الأبتر، والبتر: القطع، فبيّن سبحانه أنه هو الأبتر بصيغة الحصر والتوكيد، "وأن الله تعالى بترشانيء رسوله من كل خير، فيبتر ذكره وأهله وماله، فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحـًا لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الخير، ولا يؤهله لمعرفته ومحبته، والإيمان برسله، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصراً، ولا عونـًا، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعمـًا، ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره، فقلبه شارد عنها.

ولذا قال أبو بكر بن عيّاش: أهل السنة يموتون، ويحى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم، لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به رسول الله فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح]، وأهل البدعة شنأوا ماجاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وعند مسلم: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا، كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، وعند مسلم: فَانْطَلَقَ هَارِبـًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَرَفَعُوهُ. فَكَانَ يَقُولُ: " مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ " وعند مسلم: قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ

لِمُحَمَّدٍ، فَأُعْجِبُوا بِهِ. وَ فِي رِوَايَة الْإِسْمَاعِيلِيّ " كَانَ يَقُول: " مَا أَرَى يُحْسِن مُحَمَّد إِلَّا مَا كُنْت أَكْتُب لَهُ "، فَأَمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ وعند مسلم: فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ. وعند مسلم: قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا فَقَالُوا: " هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ. فِي رِوَايَة الْإِسْمَاعِيلِيّ " لَمَّا لَمْ يَرْضَ دِينهمْ " نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ "، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَقَالُوا: " هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ "، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ. وعند مسلم: فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذاً.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ معلقـًا على هذه القصةِ: " فهذا الملعونُ الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له ؛ قصمهُ اللهُ وفضحهُ بأن أخرجهُ من القبرِ بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادةِ، يدلُ كلّ أحدٍ على أن هذا عقوبة لما قالهُ، وأنه كان كاذبـًا، إذ كان عامةُ الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من مجرد الارتداد، إذ كان عامةُ المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن اللهَ منتقمٌ لرسولهِ ﷺ ممن طعن عليه وسبهُ، ومظهرٌ لدينه، ولكذبِ الكاذبِ إذا لم يمكن للناسِ أن يقيموا عليه الحد.

وسأل الخليفة العباسي هارونُ الرشيد الإمامَ مالك بن أنس في رجل شتم النبي ﷺ وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده؟! فغضب مالك وقال: يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها، من شتم الأنبياء قتل، ومن شتم أصحاب النبي جلد.

قال القاضي عياض: " اعلم ـ وفقنا الله وإيّاك ـ أنّ جميع من سب النبي، أو عابه، أو ألحق به نقصـًا في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له؛فهو سابٌّ له؛ والحكم فيه حكم الساب، يقتل .. وكذلك

من لعنه أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذّم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهُجر، ومنكر من القول وزور، أو عيَره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه. وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرّاً.

وقال ابن تيمية: "أما انتهاك عرض رسول الله- - فإنه مناف لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدينُ، فقيام المدح، والثناء عليه، والتعظيم، والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإن كان ذلك وجب علينا أن ننتصر له ممن انتهك عرضه..

وإذا تقرر وجوب القيام بحقه، وطاعته ومحبته والتسليم والانقياد له، ووجوب توقيره وتعظيمه، والحذر من سوء الأدب معه، فإنه يتعين في نفس الوقت عدم الغلو فيه، ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله إيّاها، فلا يشرك مع الله تعالى في أيّ نوع من أنواع العبادة..ولايستغاث به، ولا يجعل قبره وثنـًا يعبد من دون الله.. فهو صلوات ربي وسلامه عليه عبد الله ورسوله، والحق وسط بين الغالي والجافي.

ولاريب أن علينا تجاه هذا النبي الكريم صلوات ربي وتسليمه عليه حقوقـًا كثيرة يجب القيام بها وتحقيقها، فلا بد من تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب مانهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وأن ننصره ونؤيده ونمنعه من كل ما يؤذيه ويسيء إليه.

وإن من أهم مايجب علينا تجاه حبيبنا محمد أن نحقق محبته اعتقاداً وقولاً وعملاً، ونقدمها على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، والله الموفق والمعين.

الأدب مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يشعر المسلم في قرارة نفسه بوجوب الأدب الكامل مع رسول الله ﷺ وذلك للأسباب التالية:

١- أن الله تعالى قد أوجب له الأدب عليه الصلاة والسلام على كل مؤمن ومؤمنة وذلك بصريح كلامه عز وجل إذ قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]

وقال ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ٣]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الحجرات: ٤-٥].

وقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

٢- أن الله تعالى قد فرض على المؤمنين طاعته وأوجب محبته فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۝٣٣﴾

[محمد: ٣٣].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور].

وقال: ﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران) ومن وجبت طاعته وحرمت مخالفته لزم التأدب معه في جميع الأحوال.

٣/ أن الله عز وجل قد حكمه فجعله إماماً وحاكماً قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (الأنبياء).

وقال: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾.

والتأدب مع الإمام والحاكم تفرضه الشرائع وتقرره العقول ويحكم به المنطق السليم.

٤-أن الله تعالى قد فرض محبته كما قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» (متفق عليه) ومن وجبت محبته وجب الأدب إزاءه ولزم التأدب معه.

٥- ما اختصه به ربه تعالى من جمال الخلق والخلق وما حباه به من كمال النفس والذات فهو أجمل مخلوق وأكمله على الإطلاق ومن كان هذا حاله كيف لا يجب التأدب معه.

هذه بعض موجبات الأدب معه ﷺ وغيرها كثير.

ولكن كيف يكون الأدب؟وبماذا يكون؟؟

هذا ما ينبغي أن يعلمه الجميع ! يكون الأدب معه ﷺ:

١/ بطاعته واقتفاء أثره وترسم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين.

٢- أن لا يقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق أو توقيره أو تعظيمه كائناً من كان.

٣- موالاة من كان يوالي ومعاداة من كان يعادي والرضا بما كان يرضى به والغضب لما كان يغضب له.

٤- إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره والصلاة والسلام عليه واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله.

. ٥- تصديقه في كل ما أخبر به من أمر الدين والدنيا وشأن الغيب في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٦- إحياء سنته وإظهار شريعته وإبلاغ دعوته وإنفاذ وصاياه.

٧- خفض الصوت عند قبره وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته وشرفه بالوقوف على قبره ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

٨- حب الصالحين وموالاتهم بحبه وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببغضه.

هذه هي بعض مظاهر الآداب معه ﷺ. فالمسلم يجتهد دائماً في أدائها كاملة والمحافظة عليها تامة إذ كماله موقوف عليها وسعادته منوطة بها والمسؤول الله

جل جلاله أن يوفقنا للتأدب مع نبينا وأن يجعلنا من أتباعه وأنصاره وشيعته وأن يرزقنا طاعته وأن لا يحرمنا من شفاعته اللهم آمين.

كان رسول ارحم الناس واشدهم اكراما لا صحابه يوسع عليهم اذا ضاق المكان يبدأ من لقيه بالسلام واذا صافح رجلا لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده ، يخدم من خدمه ولا يدع احدا يمشي خلفه.

كان اكثر الناس تواضعا واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه واذا جلس اليه احدهم لم يقم حتى يقوم الذي جلس اليه الا ان يستعجله أمر فيستأذنه.

كان يكره القيام له: عن أنس بن مالك: «**لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك**» رواه احمد والترمذي (صحيح).

وكان لا يواجه احدا بما يكره ، يعود المريض ويحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم ولا يحقر فقيرا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه يعظم النعمة وان قلت: فما عاب طعاما ابدا، ان اشتهاه اكله والا تركه.

حج رسول الله على رحل رث (مقعد بال للبعير) وعليه قطيفه (كساء) لا تساوي اربعة دراهم فقال: «**اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة**». وهو الذي لو اراد ان يملك الدنيا لملكها.

وكان لا يتميز على أصحابه في ملبس أو مجلس ،يدخل أعرابي فيقول أيكم محمد؟ أحب اللباس إليه القميص لا يسرف في مأكل ولا مشرب ولا ملبس ويلبس القلنسوة والعمامه وخاتما من فضة في خنصره الأيمن عليه أفضل الصلوات والتسليم.

قال الشاعر:

إمـــامَ المُرســـلينَ فـــداكَ رُوحـــي ... وأرواحُ الأئمـــــةِ والـــــدُّعاةِ
رسولَ العـــالمينَ فـــداكَ عرضـــي ... وأعـــــراضُ الأحبّـــةِ والتُّقـــاةِ
ويا علم الهدى يفـــديك عمـــري ... ومـــالي يـــا نـــبي المكرمـــاتِ!!
ويا تاج التُّقـــى تفـــديك نفســـي ... ونفـــسُ أولي الرئاســـةِ والـــولاةِ
فداكَ الكون يـــا عَطِـــرَ الســـجايا ... فما للناس دونـــك مـــن زكـــاةِ
فأنـــتَ قداســـةٌ إمَّـــا اســـتُحلّتْ ... فذاكَ الموتُ من قبـــل الممـــات!!
ولو جحـــد البريّـــةُ منـــك قـــولاً ... لكُبّوا في الجحـــيم مـــع العُصـــاةِ
وعِرضُـــك عِرضُـــنا ورؤاكَ فينـــا ... بمنزلـــــة الشـــــهادةِ والصـــــلاةِ
رُفِعْتَ منازلاً وشُـــرحت صـــدرا ... ودينُـــكَ ظـــاهرٌ رغـــمَ العُـــداةِ
وذكـــرُكَ يـــا رســـولَ اللهِ زادٌ ... تُضـــاءُ بـــهِ أسَـــاريرُ الحَيَـــاةِ
وغرسُك مُثمـــرٌ في كـــلِّ صِـــقعٍ ... وهـــدْيُكَ مُشـــرقٌ في كـــلِّ ذاتِ
ومَا لِجنـــانِ عَـــدنٍ مـــن طريـــقٍ ... بغـــيرِ هُـــداكَ يـــا علـــمَ الهُـــداةِ
وأعلـــى اللهُ شـــأنكَ في البَرَايـــا ... وتلكَ اليـــومَ أجلـــى المُعجـــزاتِ
وفي الإســـراءِ والمعـــراجِ معـــنى ... لقـــدركَ في عنـــاقِ المكرمـــاتِ
ولَمْ تنطـــقْ عـــنْ الأهـــواءِ يومـــاً ... وروحُ القدسِ مِنكَ على صِـــلاتِ
بُعثـــتَ إلى المَـــلا بـــرّاً ونُعمـــى ... ورُحمـــى يـــا نـــبيَ المَرْحَمَـــاتِ
رَفَعْتَ عـــن البريّـــةِ كـــلَّ إصـــرٍ ... وأنـــتَ لـــدائها آســـي الأُســـاةِ
تمنّى الـــدهرُ قبلـــك طيـــفَ نـــورٍ ... فكان ضـــياكَ أغلـــى الأمنيـــاتِ
يتـــيمٌ أنقـــذَ الـــدّنيا، فقـــيرٌ ... أفـــاضَ علـــى البريّـــةِ بالهِبَـــاتِ
طريـــدٌ أمّـــنَ الـــدنيا فشـــادت ... علـــى بُنيانـــهِ أيـــدي البُنَـــاةِ
رحـــيمٌ باليتيمـــة والأُســـارى ... رفيـــقٌ بـــالجهولِ وبالجُنَـــاةِ

كـــريمٌ كالســـحابِ إذا أهلّـــت ... شـــجاعٌ هـــدَّ أركـــانَ البُغَـــاةِ
بليـــغٌ علّـــم الـــدنيا بـــوحيٍ ... ولم يقـــــرأ بلـــــوحٍ أو دواةِ
حكـــيمٌ جـــاءَ باليُسْـــرى شَـــفيقٌ ... فلا نـــتْ منـــهُ أفئـــدةُ القُســـاةِ
فمنكَ شريعتي وســكونُ نفســي ... ومنـــكَ هـــويتي وسمـــو ذاتي
ولي فيـــكَ اهتـــداءٌ واقتفـــاءٌ ... لا خـــلاقِ العُـــلا والمَكْرمـــاتِ
وفيك هـــدايتي وشـــفاءُ صـــدري ... بعلمـــكَ أو بحلمـــكَ والأنـــاةِ
ومنك شـــفاعتي في يـــومِ عَـــرْضٍ ... ومـــن كفيّـــكَ إرواءُ الظُّمـــاةِ
ومنك دعاءُ إمســـائي وصـــحوي ... وإقبـــالي وغمضـــي والتفـــاتي
رسولَ اللهِ قـــد أســـبلتُ دَمْعـــي ... ونزَّ القلبُ مـــن لَجَـــجِ البُغَـــاةِ
فهـــذي أمّـــةُ الإســـلام ضـــجّتْ ... وقد تُجـــبى المُـــنى بالنائبـــاتِ!!
هوانُ السيفِ من هُـــونِ المُبـــاري ... ولِينُ الـــرمحِ مـــن لِـــينِ القنـــاةِ
وقد تَشفى الجسومُ علـــى الرزايـــا ... ويعلو الدينُ من كيـــدِ الوشـــاةِ!!
وفي هـــزِّ اللـــواءِ رؤى اتحـــادٍ ... ولُمِّ الشملِ من بعـــد الشـــتاتِ!!
وقد تصحو القلوبُ إذا اسْـــتُفزّتْ ... ولَفحُ النَّارِ يوقظُ مـــن سُـــبَاتِ!!
ألا بُتـــرتْ روافـــدُ كـــلِّ فـــضٍّ ... تمـــرّغَّ في وحـــولِ الســـيئاتِ
ألا أبْلِـــغْ بَنـــي عِلمـــان عنّـــي ... وقد عُدَّ العميـــلُ مـــن الجُنَـــاةِ!!
أراكـــمْ ترقصـــونَ علـــى أَســـانا ... وتَسْـــتَحْلون مَيْـــلَ الغانيـــاتِ!!
وإن مسَّ العـــدوَ مَســـيسُ قَـــرحٍ ... رفعـــتمْ بيننـــا صـــوتَ النُّعـــاةِ!!
وإنْ عَبستْ لكم "ليـــزا" خَنَعْـــتمْ ... خُنـــوعَ المُوفضـــينَ إلى مَنـــاةِ!!
وإن ما هَاجتْ الشُـــبُهاتُ خُضْـــتمْ ... بألســـنةٍ شِـــحاحٍ فـــاجراتِ!!
"حوارُ الآخرِ" استشـــرى فـــذبّوا ... عن المعصـــومِ ألســـنةَ الجُفـــاةِ!!
وصوت "الآخرِ" اســـتعلى فـــردّوا ... عـــن الهـــادي ســـهامَ الإفتئـــاتِ

رُمِيتُمْ بالغلو دُعاة ديني ... فهل من حُجّةٍ نحو الغُلاة؟!!
أكُرّارٌ على قومي كُماةٌ ... وفي عينِ المصيبةِ كالبناتِ؟!!
ومن يرجو بني علمان عوناً ... كراجي الروحِ في الجسدِ الرُّفات!!
رسولَ الحُبِّ في ذكراك قُربى ... وتحتَ لواكَ أطواقُ النجاةِ
عليك صلاةُ ربِّكَ ما تجلّى ... ضياءٌ واعتلى صوتُ الهُداةِ
يحارُ اللفظُ في نجواكَ عجزا ... وفي القلب اتقادُ المورياتِ
ولو سُفكتْ دمانا ما قضينا ... وفاءك والحقوقَ الواجباتِ

طرب الزمان بمولدك:

طرب الزمان وغنت الورقاء ... وترنمت لمجيئك الشعراء
وتشوّقت روح البيان وأقبلت ... لتنال مجدا حازه الشرفاء
وأتاك نبض الحرف يطلب رفعة ... في وصفه، وتسابق النجباء
ما أضيع الشعراء إن لم ينطقوا ... قولا بحقك قد علاه ولا ء
الشعر فيك تدوم روعة سحره ... فله بذكرك لذة وبهاء
يا أيها المعصوم جئتك مادحا ... في خافقي حب كساه وفاء
وبيوم مولدك البهيج تزايدت ... نبضاته وترددت أصداء
وغدا الشغاف معطرا بوداده ... لك إذ بحبك يفخر النبلاء
يا من ملأت الكون نورا ساطعا ... وهداية، غنى بها البلغاء
إذ كان قبلك ظلمة ممزوجة ... بمفاسد يسعى لها الجهلاء
قوم إلى الأوثان كان سجودهم ... وحياتهم بفعالهم ظلماء
جعلوا لرب الملك ندا حينما ... زعموا عبادة من له شركاء
وئدوا البنات وكان ديدن جلهم ... أن لا تُرى في دارهم حواء
كان القوي من الضعيف شرابه ... وطعامه إذ قلت الرحماء

فأتيت يا خير الأنام معلما ومساندا تقوى بك الضعفاء
فأبت قريش وحاربتك بجهلها حقدت عليك لا لها عمياء
فهجرتها ومضيت نحو أحبة جُعلت ديارك منهم الأحشاء
بك صدقوا لك آزروا ولأم رك أتمروا هم الأمراء
ولأجل نصر الدين لا لغنيمة وهبت نفوسهم الكبار فداء
ورجعت مكة فاتحا مستبشرا بالنصر والله القدير يشاء
وعفوت عمن حاربوك بجهلهم إذ قلت: سيروا أنتم الطلقاء
وتركت فينا منهجا نحيا به ما إن تمسكنا لنا العلياء
لكننا يا سيدي في عصرنا كثر ولكنا صدقت: غثاء
قد خان عهدك بعضنا متنكر الشريعة، هي للحياة بناء
ومضى يناصر من يحارب ديننا وضميره أودت به الأهواء
يرضى بأن يُلقى أخوه إلى الردى لينال أجرا عافه البؤساء
وولاتنا للغرب صار ولا ؤهم إذ أنهم حمقى وهم سفهاء
لم تبق فيهم نخوة أو عزة أو يبقى في تلك الوجوه حياء
بات العدو يدوسهم بنعاله وهم الملوك لنا هم الرؤساء
هل من شجاع ينبري لجبانهم وبضدها تتميز الأشياء
خسروا وأي خسارة مُنوا بها إذ أنهم موتى وهم أحياء
لكن غزة أنجبت فرسانها وبهم طريق النصر سوف تُضاء
وبساحة الأقصى أسود جاهدوا بشجاعة صُعقت بها الأعداء
من أجل دين الله أصبح همهم أن يُنصروا أو يُبعثوا شهداء
وبأرض أفغان رجال أقسموا ألا يعيش بأرضهم دخلاء
وهناك حول الرافدين بواسل يخشاهم العملاء والغرباء

قد لقنوا المـــارينز درســـا باهضـــا ... بـــل عرّفـــوهم أننـــا الكرمـــاء
يا بدر هذا الكون عـــذرا إن بـــدا ... في وجه حـــرفي للشـــجون ثـــراء
أو إن شكوت مضاضتي ومـــرارتي ... ممـــا جنـــاه بـــأمتي العمـــلاء
لكـــنني مازلـــت أحيـــا بهجـــة ... فليـــوم مولـــدك المـــنير ضـــياء
تتمايل الأغصـــان عنـــد شـــروقه ... ولشمسه نـــور زهـــى وصـــفاء
يا من بهـــديك للنفـــوس ســـعادة ... قد أشربت مـــن نهرهـــا العقـــلاء
صلى عليك الله ما هطـــل النـــدى ... أو أمطـــرت للعـــالمين سمـــاء

٩/ الدفاع عنه ﷺ برد الشبه التي يروجها أعداؤه:

الرد على من شان زواج النبى ﷺ بأكثر من أربع نساء؟؟؟؟

قد درج أعداء الإسلام منذ القديم على التشكيك في نبي الإسلام والطعن في رسالته والنيل من كرامته، ينتحلون الأكاذيب والأباطيل ليشككوا المؤمنين في دينهم، ويبعدوا الناس عن الإيمان برسالته ﷺ، ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والافتراء والتضليل في حق الأنبياء والمرسلين، فتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّاً مّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ [الفرقان: ٣١].

وقبل أن نتحدث عن أمهات المؤمنين الطاهرات وحكمة الزواج بهن نحبّ أن نرد على شبهة سقيمة طالما أثارها كثير من الأعداء من الصليبيين الحاقدين والغربيين المتعصبين.

رددوها كثيرًا ليفسدوا بها العقائد ويطمسوا بها الحقائق ولينالوا من صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إنهم يقولون: "لقد كان محمد رجلاً شهوانيًا يسير وراء شهواته وملذاته ويمشي مع هواه، لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على أتْباعه، بل عدَّد الزوجات فتزوج عشر

نسوة أو يزيد سيرًا مع الشهوة وميلاً مع الهوى".

كما يقولون أيضًا: "فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد، فرق بين من يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى بن مريم وبين من يسير مع هواه ويجري وراء شهواته كمحمد" ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

حقًا إنهم لحاقدون كاذبون فما كان محمد عليه الصلاة والسلام رجلاً شهوانيًا إنما كان نبيًا إنسانيًا تزوج كما يتزوج البشر، ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي، ولم يكن محمد إلهًا ولا ابن إله كما يعتقد النصارى في نبيهم، إنما هو بشر مثلهم فضَّله الله عليهم بالوحي والرسالة، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه بدعًا من الرسل حتى يخالف سنتهم أو ينقض طريقتهم فالرسل الكرام قد حكى القرآن الكريم عنهم بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]

فعلام إذًا يثيرون هذه الزوابع الهوج في حق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام؟ ولكن كما يقول القائل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وصدق الله حيث يقول: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

رد الشبهة:

هناك ثلاث نقاط جوهرية تدفع الشبهة عن النبي الكريم وتلقم الحجر لكل مفتر أثيم يجب ألا نغفل عنهما وأن نضعهما نصب أعيننا حين نتحدث عن

أمهات المؤمنين وعن حكمة تعدد زوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن أجمعين.

هاتان النقطتان هما:

أولاً: لم يعدد الرسول الكريم ﷺ زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة أي بعد أن جاوز من العمر الخمسين.

ثانيًا: جميع زوجاته الطاهرات ثيبات ـ أرامل ـ ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها فهي بكر، وهي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها ﷺ وهي في حالة الصبا والبكارة، ومن هاتين النقطتين ندرك بكل بساطة تفاهة هذه التهمة وبطلان ذلك الادعاء الذي ألصقه به المستشرقون الحاقدون.

فلو كان المراد من الزواج الجري وراء الشهوة أو السير مع الهوى أو مجرد الاستمتاع بالنساء لتزوج في سن الشباب لا في سن الشيخوخة، ولتزوج الأبكار الشابات لا الأرامل المسنات، وهو القائل لجابر بن عبد الله حين جاءه وعلى وجهه أثر التطيب والنعمة: «**هل تزوجت؟**» قال: نعم، قال: «**بكرًا أم ثيبًا؟**» قال: بل ثيبًا، فقال له صلوات الله عليه: «**فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك**».

فالرسول الكريم أشار عليه بتزوج البكر وهو ﷺ يعرف طريق الاستمتاع وسبيل الشهوة، فهل يعقل أن يتزوج الأرامل ويترك الأبكار ويتزوج في سن الشيخوخة ويترك سن الصبا إذا كان غرضه الاستمتاع والشهوة؟!

٣/ لينظر الحاقدون على النبي الخاتم ﷺ في كتب الجاهليين من أعداءه ﷺ هل فيها مثل ما قالوا؟ وهل اتهموه في عفافه؟ ولو كان مثل قالوا ما أغفلوه في دواوينهم وقد كانوا يقدرون للشرف قدره.

إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفدون رسول الله ﷺ بمهجهم

وأرواحهم، ولو أنه طلب الزواج لما تأخر أحد منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبكار الجميلات، فلماذا لم يعدد الزوجات في مقتبل العمر وريعان الشباب؟! ولماذا ترك الزواج بالأبكار وتزوج الثيبات؟! إن هذا بلا شك يدفع كل تقوُّل وافتراء ويدحض كل شبهة وبهتان ويرد على كل أفاك أثيم يريد أن ينال من قدسية الرسول أو يشوِّه سمعته، فما كان زواج الرسول بقصد الهوى أو الشهوة، وإنما كان لحكم جليلة وغايات نبيلة وأهداف سامية سوف يقر الأعداء بنبلها وجلالها إذا ما تركوا التعصب الأعمى وحكَّموا منطق العقل والوجدان، وسوف يجدون في هذا الزواج المثل الأعلى في الإنسان الفاضل الكريم والرسول النبي الرحيم، الذي يضحي براحته في سبيل مصلحة غيره وفي سبيل مصلحة الدعوة والإسلام.

❁ فالحكمة من تعدد زوجات الرسول كثيرة ومتشعبة ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

أولاً: الحكمة التعليمية.

ثانيًا: الحكمة التشريعية.

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية.

رابعًا: الحكمة السياسية.

أولاً: الحكمة التعليمية:

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بعض معلمات للنساء يعلمهن الأحكام الشرعية، فالنساء نصيف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال.

وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور

الزوجية وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل، كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان كما تروي كتب السنة أشد حياءً من العذراء في خدرها، فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة بل كان يكني في بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فعلّمها ﷺ كيف تغتسل ثم قال لها: «**خذي فرصة ممسكة ـ أي قطعة من القطن بها أثر الطيب ـ فتطهري بها**» قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «**تطهري بها**» قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال لها: «**سبحان الله تطهري بها**»، قالت السيدة عائشة: فاجتذبتها من يدها فقلت: ضعيها في مكان كذا وكذا وتتبعي بها أثر الدم. وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه، فكان صلوات الله عليه وسلم يستحي من مثل هذا التصريح.

وهكذا كان القليل أيضًا من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حيائها فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها، نأخذ مثلاً لذلك حديث أم سلمة المروي في الصحيحين وفيه تقول: جاءت أم سُليم ـ زوج أبي طلحة ـ إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال لها النبي ﷺ: «**نعم إذا رأت الماء**» فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أو تحتلم المرأة؟ فأجابها النبي الكريم بقوله: «**إذًا فيم يشبهها الولد؟**».

مراده عليه السلام أن الجنين يتولد من ماء الرجل وماء المرأة، ولهذا يأتي له شبه بأمه، وهكذا كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "أمشاج أي

أخلاط والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: يعني ماء الرجل وماء المرأة، إذا اجتمعا واختلطا"

وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها بعد وفاته ﷺ. زوجاته الطاهرات، ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : رحم الله نساء الأنصار؛ ما منعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات وموجهات لهن وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب، بل هي تشمل قوله وفعله وتقريره، وكل هذا من التشريع الذي يجب على الأمة اتباعه، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله عليه السلام في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتي أكرمهن الله، فكن أمهات للمؤمنين، وزوجات لرسوله الكريم في الدنيا والآخرة؟!

لا شك أن لزوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه ﷺ، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

ثانيًا: الحكمة التشريعية:

ونتحدث الآن عن الحكمة التشريعية التي هي جزء من حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ، وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة، وهي أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب لذلك مثلاً بدعة التبني التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام فقد كانت دينًا متوارثًا عندهم، يتبنى

أحدهم ولدًا ليس من صلبه ويجعله في حكم الولد الصلبي، ويتخذه ابنًا حقيقيًا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال؛ في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه، وكان دينًا تقليديًا متبعًا في الجاهلية.

كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره فيقول له: "أنت ابني، أرثك وترثني"، وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجاهلة، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله عليه السلام أن يتبنى أحد الأبناء ـ وكان ذلك قبل البعثة النبوية ـ فتبنى عليه السلام زيد بن حارثة على عادة العرب قبل الإسلام. وفي سبب تبنيه قصة من أروع القصص، وحكمة من أروع الحكم ذكرها المفسرون وأهل السير، لا يمكننا الآن ذكرها لعدم اتساع المجال. وهكذا تبنى النبيُ الكريم ﷺ زيدَ بن حارثة، وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم زيد بن محمد.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ الله﴾ [الأحزاب: ٥] فقال النبي ﷺ: «**أنت زيد بن شراحبيل**».

وقد زوجه عليه السلام بابنة عمته زينب بن جحش الأسدية، وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما، فكانت تغلظ له القول، وترى أنها أشرف منه؛ لأنه كان عبدًا مملوكًا قبل أن يتبناه الرسول وهي ذات حسب ونسب.

ولحكمة يريدها الله تعالى طلق زيد زينب، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة التبني ويقيم أسس الإسلام، ويأتي على الجاهلية من قواعدها، ولكنه عليه السلام كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار، أن يتكلموا فيه ويقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله عليه السلام،

في قوله جل وعلا: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وهكذا انتهى حكم التبني، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية، وكانت دينًا تقليديًا لا محيد عنه ونزل قوله تعالى مؤكدًا هذا التشريع الإلهي الجديد ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلّ شَيْء عَلِيماً ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله، وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هي إبطال عادات الجاهلية وقد صرّح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد تولى الله عز وجل تزويج نبيه الكريم بزينب امرأة ولده من التبني، ولهذا كانت تفخر على نساء النبي بهذا الزواج الذي قضى به رب العزة من فوق سبع سماوات.

روى البخاري بسنده أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: «**زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات**»، وهكذا كان هذا الزواج للتشريع وكان بأمر الحكيم العليم فسبحان من دقت حكمته أن تحيط بها العقول والأفهام وصدق الله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية:

أما الحكمة الثالثة فهي الحكمة الاجتماعية، وهذه تظهر بوضوح في تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه، وزيره الأول، ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه، ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب وتزوجه العدد منهن مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في إيمان وإكبار وإجلال.

لقد تزوج النبي صلوات الله عليه بالسيدة عائشة بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرًا لديه ألا وهو أبو بكر الصديق الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله في سبيل نصرة دين الله والذود عن رسوله وتحمل ضروب الأذى في سبيل الإسلام حتى قال عليه السلام كما في الترمذي مشيدًا بفضل أبي بكر: «**ما لا حد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، وما عرضت الإسلام على أحد إلا تردد ما عدا أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً، إلا وإن صاحبكم خليل الله تعالى**».

فلم يجد الرسول ﷺ مكافأة لأبي بكر في الدنيا أعظم من أن يقر عينه بهذا الزواج بابنته ويصبح بينهما مصاهرة وقرابة تزيد في صداقتهما وترابطهما الوثيق، كما تزوج صلوات الله عليه بالسيدة حفصة بنت عمر، فكان ذلك قرة عين لا بيها عمر على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين، وعمر هو بطل الإسلام الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار الدين، فكان اتصاله عليه السلام به عن طريق المصاهرة خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما بل أعظم مكافأة ومنة ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف فما أجل

سياسته، وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى ﷺ بتزويجهما ببناته وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه وخلفاؤه من بعده في نشر ملته وإقامة دعوته فما أجلها من حكمة وما أكرمها من نظرة.

رابعًا: الحكمة السياسية:

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه وجمع القبائل حوله، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة، وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته.

❁ ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج:

أولاً: تزوج صلوات الله عليه بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدي نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك، فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا ـ أي أنهم في الأسر ـ فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعًا ودخلوا في دين الله وأصبحوا من المؤمنين، فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها لأنه كان سببًا لا سلامهم وعتقهم وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البخاري في صحيحة عن عائشة ﵂ أنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفارس سهمين والراجل سهمًا فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس،

فجاءت إلى الرسول فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعني على فكاكي فقال عليه السلام: «**أو خير من ذلك؟**» فقالت: ما هو؟ فقال: «**أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك**» فقالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله: «**قد فعلت**» وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله يسترقون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة بيت بتزوجه عليه السلام بنت سيد قومه.

ثانيًا: وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب التي أسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، ووقعت في سهم بعض المسلمين فقال أهل الرأي والمشورة: هذه سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ، فعرضوا الأمر على الرسول الكريم فدعاها وخيرها بين أمرين:

أ ـ إما أن يعتقها ويتزوجها عليه السلام فتكون زوجة له.

ب ـ وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

روي أن صفية رضي الله عنها لما دخلت على النبي ﷺ قال لها: لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله، فقالت يا رسول الله: إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨]، فقال لها الرسول الكريم: اختاري فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله: لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب وما لي فيها والد ولا أخ وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي،

فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

ثالثًا: وكذلك تزوجه عليه الصلاة والسلام بالسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الذي كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك وألد الأعداء لرسول الله ﷺ، وقد أسلمت ابنته في مكة ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فرارًا بدينها، وهناك مات زوجها، فبقيت وحيدة فريدة لا معين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها، فأبلغها النجاشي ذلك فسرت سرورًا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه؛ لا نها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لا جبروها على الكفر والردة أو عذبوها عذابًا شديدًا، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام. ولما بلغ أبا سفيان الخبر أقر ذلك الزواج وقال: "هو الفحل لا يقدع أنفه"، فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له إلى أن هداه الله تعالى للإسلام، ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في تزوجه عليه السلام بابنة أبي سفيان، فقد كان هذا الزواج سببًا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألد بني أمية خصومة لرسول الله ومن أشدهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سببًا لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريمًا لها على إيمانها لا نها خرجت من ديارها.

إرفع رأسك أنت مسلم
هل حقًا انتشر بالسيف؟؟

هل حقا انتشر الإسلام بالسيف.. نود أن نرجع الآن إلى بداية الدعوة في هذا الزمن الذي كان يحكمه الكثير من الصراعات بين الطوائف المختلفة وكان يسود عليه التخلف بل والكفر بالله والتعبد لغير الله..

كيف انتشرت الدعوة في هذا الوقت؟ لكي لا ندخل في موضوع آخر فنحن نسوف نركز على الدعوة من ناحية الانتشار.. لذلك تعالوا نرى كيف انتشرت الدعوة بالسلام..

قال الله تعالى: ﴿لقَدْ مَنَّ اللَّه عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران] ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

وكانت بداية الدعوة.. إذاً الآن نرى كيف انتشر الإسلام..ليس بحد السيف كما تقولون إنما بالعقل والإيمان بالله..

لقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاما، وهو يدعو إلى الله بالحجة والموعظة الحسنة، وقد دخل في الإسلام في هذه الفترة من الدعوة خيار المسلمين من الأشراف وغيرهم، وكان الداخلون أغلبهم من الفقراء، ولم يكن عند رسول الله ﷺ من الثراء ما يغري هؤلاء، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان، وقد تحمَّل المسلمون - ولا سيما الفقراء والعبيد ومن لا عصبية له منهم - من

صنوف العذاب والبلاء ألواناً، فما صرفهم ذلك عن دينهم، وما تزعزعت عقيدتهم، بل زادهم ذلك صلابة في الحق، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقرهم، وما سمعنا أن أحداً منهم ارتدّ سخطاً عن دينه، أو أغرته مغريات المشركين في النكوص عنه، وإنما كانوا كالذهب الإبريز لا تزيده النار إلا صفاء ونقاء، وكالحديد لا يزده الصهر إلا قوةً وصلابةً، بل بلغ من بعضهم أنهم وجدوا في العذاب عذوبة، وفي المرارة حلاوة.

ثم كان أن هاجر بعضهم إلى بلاد الحبشة هجرتين، ثم هاجروا جميعاً الهجرة الكبرى إلى المدينة، تاركين الأهل والولد والمال والوطن، متحملين آلام الاغتراب، ومرارة الفاقة والحرمان، واستمر الرسول بالمدينة عاماً وبعض العام يدعو إلى الله بالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، وقد دخل في الإسلام من أهل المدينة قبل الهجرة وبعدها عدد كثير عن رضاً واقتناع ويقين واعتقاد، وما يكون لا نسان يحترم عقله ويذعن للمقررات التاريخية الثابتة، أن يزعم أنه كان للنبي ﷺ والمسلمين في هذه الأربعة عشر عاماً أو تزيد حول أو قوة ترغم أحداً على الدخول في الإسلام، إلا إذا ألغى عقله وهدم التاريخ الصحيح.

والسؤال الآن إليكم:

كيف انتشر الإسلام؟؟ هل بالسيف أم بالإيمان والعقل؟ أين السيف يا أعداء الله؟

هل حقا كل هؤلاء أسلموا بالسيف؟؟

ثلاث عشر سنة دعوة إلى الله.. والإيمان بالله بالعقل أين السيف إذاً؟؟

«يا معشر قريش.. ما تظنون أني فاعل بكم..؟؟»

هنالك تقدم خصم الإسلام بالأمس سهيل بن عمرو وقال مجيبا:

" نظن خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم".

وتألقت ابتسامة من نور على شفتي حبيب الله وناداهم:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء»..!!

هل انتشر الإسلام بالسيف؟؟؟!! ما رأيكم الآن هكذا كان الرسول ﷺ يتعامل مع أعداء الله..!! حتى يلين قلبهم إلى ذكر الله..

هل قتلهم رسول الله.. ﷺ. ما منعه أن يقتهلم !!

بنوا دعواهم في انتشار الإسلام بالسيف على دعواهم بعد العقلانية في الإسلام، ولكنها دعوى بلا دليل، بل الدليل حاسم على ما يضادها.

فالعقل في الإسلام هو مناط التكليف أو مناط الخطاب الديني للمكلفين: **«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لا يَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»**.. وبقدر حظ الإنسان من العقل يكون حظه من الإسلام: فهما وعملاً. بل نستطيع أن نقول: إن الإسلام جاء للعقلاء فقط: «**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**»، فلا دين لمن لا عقل له.

قلنا أنهم بنوا زعمهم في انتشار الإسلام بحد السيف على دعواهم بعدم العقلانية في الإسلام، ذلك أن الدين الذي لا يحترم العقل، يتوسل إلى مقاصده بالسيف، لا بالاقتناع.. فهل هذه دعوى صحيحة.. لا.. لا.. بدليل أن المسلمين ما حملوا السيف إلا للدفاع عن وجودهم المعنوي والمادي (وهذا حق مشروع لا مم الأرض جميعا).. وبدليل: أن العلاقة بين الإنسان والله ـ في الإسلام ـ تقوم على الحب، والحب لا يأتي بالسيف قط.. وبدليل أن كل فعل أو أمر يتم بالإكراه إنما هو فعل باطل بيقين في منهج الإسلام.

ولذلك نفى الإسلام نفيا حاسما مؤبدا: الإكراه في الدين، بموجب نص

قرآني مدني قطعي ثابت غير منسوخ: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

لندع تلك البراهين كلها التي تدحض دعوى انتشار الإسلام بالسيف، ولنركز على برهان (واقع ماثل) ملموس، يعرفه الجميع تمام المعرفة من خلال التقارير السنوية بل اليومية التي ترصد حركة انتشار الإسلام في العالم. الكل يعلم أن ألوف الناس ـ مسيحيين وغير مسيحيين ـ يدخلون في الإسلام، وبطريقة مستمرة، بل انه في الولايات المتحدة نفسها، وبعد أحداث ١١ سبتمبر بالذات: يدخل في الإسلام عشرون ألف أمريكي كل عام، معظمهم من الذين ظفروا بحظوظ عالية من التعليم.. فمن ذا الذي أكره هؤلاء بـ «**السيف**» لكي يعتنقوا الإسلام؟.. لا سيف تم ولا سياف، وإنما هو (الاقتناع الحر): اقتناع العقل الحر واقتناع الضمير الحر، واقتناع اختيار المصير الحر.

إن هذه (الحجة الواقعية) كافية ـ وحدها ـ لنقض دعوى: أن الاسلام قد انتشر بالسيف.

قد يقول قائل:

الآيات صريحة في حثها على القتال وهذا صحيح ولكننا ذكرنا ماهي أول آيات القتال وكيف أنها نزلت لتحثهم على القتال دفاعا عن أنفسهم وهو غير محبب لهم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ البقرة ٢١٦، فكان لا بد من تشجعيهم وحثهم عليه.

أيضـًا بالنسبة للفتوحات الإسلامية فلم يكن القتال أول الخيارات بل آخرها وسبق ذكر هذا سابقا ونقتبس منها جزء من الحديث الشريف: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا ولا تَمْثُلُوا ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلاَلٍ -**

فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِى يَجْرِى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ولا يَكُونُ لَهُمْ فِى الْغَنِيمَةِ وَالْفَىْءِ شَىْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ»

فهل اتضحت الصورة؟؟

بيّن لنا الباري سبحانه جل في علاه ما هي الطريقة التي يجب أن يتبعها المسلمون في قتالهم وجهادهم حينما يحين أجله

فهو ليس قتالا من أجل القتال،، لكن حينما يحين أجله فهذه هي الصورة التي يجب على المسلمين أن يكونوا عليها... أشداء أقوياء على الكفار.

نرجو أن نكون قد وفقنا في إيضاح جزء من تلك الصورة التي يحاول الكثيرون تشويهها بشكل أو بآخر.

فارة بدينها فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة.

إرفع رأسك أنت مسلم
الإسلام ونظرته للرقيق وملك اليمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

بادئ ذي بدئ يتفق معنا المعترضون أن الإسلام جاء وكان نظام الرق – قائما ولم يبتدعه الإسلام !

جاء الإسلام وكان الرِّق قائِما في اليهودية..!!

و جاء الإسلام وكان الرِّق قائِما في المسيحية..!!

وجاء الإسلام وكان الرِّق قائِما عِند جميع الشعوب الدينية والوثنية..!!

والآن لِنبدأ حِوارنا بتوضيح حال الإسلام مُقارنة بالملل الأخرى ثم ننتقِل بعد ذلِك للأديان الوضعيّة:

و يكون السؤال هو..هل الإسلام جاء ليقر نظام العبودية كمن قال السيد بولس؟!!!

[الفاندايك]-[Eph: 6: 5]-[ايها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح.]

[الفاندايك]-[Col: 3: 22]-[ايها العبيد اطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب.]

والرب يسوع رب العهد القديم والجديد يقول في كتابه:

[Jgs: 21: 21]-[وانظروا فاذا خرجت بنات شيلوه ليدرن في الرقص فاخرجوا انتم من الكروم واخطفوا لا نفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه واذهبوا الى ارض بنيامين.]

❁ يا ترى يا هل ترى ماذا يسمون هذا؟؟!

الإسلام جاء ليساوي بين المؤمين كافة ويقول النبي"المسلم أخو المسلم " ويقول فداه ابي وأمي "لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى"

هذه هي الأخوة الكونية للمؤمنين والمساواة الكاملة بينهم أمام الله كأسنان المشط والأفضلية فقط بالتقوى والعمل الصالح ولهذا صار بلال عظيما في الإسلام وهو العبد الأسود وصار عم النبي أبو لهب ذليلا وهو السيد المطاع في قومه...!!

ويأمر النبي ﷺ أن يلبس العبد مما يلبس سيده ويأكل مما يأكل. هذا أمر وليس للمسلم خيار فيه. وهكذا لو رأيتهما يأكلان لن تعرف أيهما السيد وأيهما العبد. مساواة لا ينالها الخادم الحر في الغرب !

وجعل الإسلام ضرب الأمة ثمناً لحريتها، فقال النبي ﷺ- لصحابي ضرب أمة ثم أعتقها - انه لم لو يعتقها لمسته النار.

فنظام العبودية كان ساريا بالفعل عند مجئ الإسلام والإسلام أتى ليحرر كل العبيد بطريقة تدريجية

فالإسلام جعل تحرير العبيد من أقرب القربات إلى الله عز وجل

فقال الله عن الاعمال التي يتقرب بها إليه ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ سورة البلد.

وقال النبي ﷺ «**أن العبد الذي تعتقه لوجه الله سوف يعتقك الله به ويدخلك الجنه !**».

بل وأنشأ نظاما يسمى المكاتبة يمكن للعبد من خلاله أن يحرر نفسه بعمله أو بمساعدات الآخرين ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ﴾.

وجاء الإسلام ليجعل التكفير عن كل خطية لا بدم خروف أو جدي كما هو مطلوب في العهدين.. لا.. بل جعل التكفير عن الخطايا معظمه بتحرير العبيد!

مثلا ففي القتل الخطأ / يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً﴾.

ويقول الله: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّه بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَايِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

فبالله عليكم أيها المفترون على الإسلام. أهذا دين يقال عنه "جاء بالعبودية وملكات اليمين " قاتلكم الله. أنى تؤفكون؟!

ولابد أن يرى الطاعن الخشبة التي في عينه: يقول الكتاب المقدس /

[الفاندايك]-[Nm: 31: 17]-[فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال. وكل

امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهنّ لكم حيّات.]

ويقول الرب يسوع رب العهد القديم والجديد: [الفاندايك]-[Dt: 20: 10]-[حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح. فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا.]

فبالله عليكم لو كانوا يرفضون الإسلام لسبب موضوع ملكات اليمين فلماذا لا يرفضون كتابهم ويلقوه في القمامة؟!!

والأنبياء عندهم كلهم كان لديهم ملكات يمين.

فالنبي سليمان عليه السلام الذي قارن يسوع نفسه به وقال «**هو ذا أعظم من سليمان هنا**» يقول الكتاب المقدس عنه: وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ ملوك الأول ١١ : ٣

ولو كان مرتدا زانيا كما يقول النصارى لما كان أهلا أن يقارن به المسيح نفسه فكأنك تقول رئيس دولة يقارن نفسه بالزبال والعربجي..أفلا يكون سفها؟!!

فسليمان لم يقل عنه المسيح شهواني بل قال: ملكة اليمن ستقوم في الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم. لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان !!

وإبراهيم أبونا الذي قال عنه المسيح "لو كنتم اولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم " الذي هو في الفردوس يتكئ مع المؤمنين لقد تزوج بسارة وأهدت له سارة جاريتها هاجر فدخل عليها وأنجب منها إسماعيل !!

بالله عليكم أي زور وإفك لو قلتهم إن ما فعل أبونا إبراهيم زنا؟!!

ويقولون إسماعيل إبن الجارية نتاج غير شرعي وإبنه الوحيد الشرعي إسحاق !! والله يقول:

Mt: 22: 32 انا اله ابراهيم (SVD)

فهل يقال إله إبراهيم الزاني؟

وهل ينسب الله نفسه لزاني

وهل يعقد عهدا مع زاني (تكوين١٧: ٤ -١٤)؟

فبالله عليكم. أين يُذهب بكم يا عوام النصارى؟!

ألا تفكرون فيما يقال لكم؟!

Mt: 8: 11 واقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات. (SVD)

Lk: 13: 28 هناك يكون البكاء وصرير الاسنان متى رأيتم ابراهيم واسحق ويعقوب وجميع الانبياء في ملكوت الله وانتم مطروحون خارجا. (SVD)

ويكفيني قول المسيح: قال لهم يسوع لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم. (يوحنا ٨: ٣٩)

ناهيك عن بقية الأنبياء الذين كانت لهم سراري هم ايضا !!

١٢ وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَثْبَتَهُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ قَدْ رَفَّعَ مُلْكَهُ مِنْ أَجْلِ شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. ١٣ وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضًا سَرَارِيَ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ، فَوُلِدَ أَيْضًا لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. سفر صموئيل الثانى ٥: ١٢-١٣

وَأَحَبَّ رَحُبْعَامُ مَعْكَةَ بِنْتَ أَبْشَالُومَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ نِسَائِهِ وَسَرَارِيهِ لأنه اتَّخَذَ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ امْرَأَةً وَسِتِّينَ سُرِّيَّةً وَوَلَدَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتِّينَ ابْنَة. سفر أخبار الأيام الثانى ١١: ٢١.

داوود الملك النبي أيضا له سراري ونساء.

Mk: 11: 10 مباركة مملكة ابينا داود (SVD).

ولطالما دعي المسيح بن داود!.

٢ Sm: 5: 13: 13 واخذ داود أيضا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضا لداود بنون وبنات. (SVD).

٢ Sm: 15: 16: 16 فخرج الملك وجميع بيته وراءه.وترك الملك عشر نساء سراري لحفظ البيت. (SVD).

وقد يرد أحدهم أن العهد الجديد انكر عليهم هذا... وبالعكس فالعهد الجديد يمجدهم !!

Heb: 11: 32 وماذا أقول أيضا لأنه يعوزني الوقت ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء ٣٣ الذين بالايمان قهروا ممالك صنعوا برا نالوا مواعيد سدوا افواه اسود (SVD)

ومما يندى له الجبين ونختم به أن الرب يسوع يجيز أن يبيع الرجل إبنته. صدق ولا بد أن تصدق ولكن الرب يعترض على أن تخرج الإبنة من البائع للمشتري بطريقة العبيد ولكن لا بد أن يودعها وداعا لا ئقا بأب وأبنته قبل بيعها.

هكذا هي المحبة ![الفاندايك]-[Ex: 21: 7]-[واذا باع رجل ابنته امة لا تخرج كما يخرج العبيد.]

وحسبكم يا معشر النصارى ويا غير النصارى أن رسول الإسلام كان من بين أصحابه المقربين عبد حبشي يسمى بلال وكان الصحابة الأحرار الأشراف يقولون حينما أعتقه ابو بكر "سيدنا أعتق سيدنا"

لقد أصبح العبد الإسود في الإسلام سيدا !!

بل وتشاجر بلال مع احد الصحابة الأشراف في قومهم فقال له "يا إبن السوداء" فوصل الخبر لرسول الله فقال له "إنك أمرؤ فيك جاهلية" فرجع الصحابي ووضع خده على الأرض وقال دس على رأس إبن الأشراف يا بلال .. فاخذه بلال وسامحه... هذه مكانة العبيد في الإسلام أن نقول على بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر ... وكلهم كانوا عبيدا وهم أسيادنا !!

فهل كان في أتباع رب المحبة يسوع عبدا واحدا؟! بل هل كان في تلاميذه أنسانا واحدا غير يهودي؟!

بل الأغرب ما نسب للمسيح -حاشا- من عنصرية ضد الأحرار غير الإسرائيليين فمابالك بالعبيد؟!!

[الفاندايك]-[Mk: 7: 26]-[وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية.فسألته ان يخرج الشيطان من ابنتها.واما يسوع فقال لها دعي البنين اولا يشبعون.لانه ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. فاجابت وقالت له نعم يا سيد.والكلاب ايضا تحت المائدة تأكل من فتات البنين. فقال لها.لاجل هذه الكلمة اذهبي.قد خرج الشيطان من ابنتك.]

ففرق كبير بين المسيحية التي تقر نظام العبودية والرق ولم تخلق حلا له

والإسلام الذي جعل بلال الأسود الذي ينبذه كتب أهل الكتاب ويقول عنه [Gn: 9: 25]-[فقال ملعون كنعان.عبد العبيد يكون لا خوته.] والإسلام يقول "**المؤمن أخو المؤمن**" والرسول يقول "**لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا اسود إلا بالتقوى** " وجاء ليحرر العبيد.

فالحمد لله على نعمة الإسلام

إرفع رأسك.. أنت مسلم

هل الإسلام كرم المرأه أم ظلمها وأهانها ؟

تكريم الاسلام للمرأة

الاسلام رفع من شأن المرأة، وسوى بينها وبين الرجل في أكثر الأحكام، فهي مأمورة مثله بالإيمان والطاعة، ومساوية له في جزاء الآخرة، ولها حق التعبير، تنصح وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله، ولها حق التملك، تبيع وتشتري، وترث، وتتصدق وتهب، ولا يجوز لا حد أن يأخذ مالها بغير رضاها، ولها حق الحياة الكريمة، لا يُعتدى عليها، ولا تُظلم. ولها حق التعليم، بل يجب أن تتعلم ما تحتاجه في دينها

المرأة في المجتمعات والأديان الأخرى:

❁ المرأة عند الإغريق:

كانت عندهم محتقرة مهانة، حتى سموها رجساً من عمل الشيطان، وكانت عندهم كسقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال يقول فيلسوفهم " سقراط " [إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميل، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً " أ.هـ، ولقد عُدّ عندهم أن تكون المرأة عاهراً وأن يكون لها عشاق.

❁ المرأة عند الرومان:

فقد كانت تلاقي أشد العذاب تحت شعارٍ اتخذوه وأسموه " ليس للمرأة روح " ، ومن ذلك تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيول، ويُسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت.

۞ المرأة عند الصينيين القدماء:

شبهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، وللصيني الحق في أن يبيع زوجته كالجارية، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لا هل الزوج الحق فيها كثروة وتُورث، وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية.

۞ المرأة عند الهنود:

فليس للمرأة الحق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية على مَوْقِدٍ واحد. وكانت المرأة العَزَبُ والأَيّم التي فقدت زوجها من المنبوذين في المجتمع الهندي، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوانات.

۞ المرأة عند الفرس:

فلقد أبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، وكانت تنفى الأنثى في فترة الطمث (فترة الدوره الشهريه) إلى مكان بعيد خارج المدينة وكانت المرأة تحت سلطة الرجل المطلقة يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة.

۞ المرأة عند اليهود:

فلقد كانوا يعتبرونها لعنة لا نها أغوت آدم، وكانوا عندما يصيبها الحيض لا يجالسونها ولا يؤاكلونها، ولا تلمس وعاءً حتى لا يتنجس، وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة ويضع أمامها خبزاً وماءاً، ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر.

۞ المرأة عند النصارى:

فيكفي أن أذكر لكم ما قاله أَحَدُ رِجَال كنيستهم إذ قال: " إذا رأيتم امرأة فلا

تحسبوا أنكم ترون كائنا بشريـًا بل ولا كائنا وحشيـًا إنما الذي ترونه هو الشيطان بذاته والذي تسمعون به هو صفير الثعبان ".

❁ المرأة عند العرب:

فلم يكن لها حق الإرث، وإذا مات الرجل ورثه ابنه حتى في زوجته ولم يكن للمرأة في الجاهلية حق على زوجها وليس للطلاق عدد محدود ولا لتعدد الزوجات عدد معين، وكانت المرأة في الجاهلية تُكره على فعل الزنا طلبـًا في الأجر المادي وكان من مأكولاتهم هو خالص للذكور ومحرم على الإناث ولقد كن البنات يؤدن ويدفن تحت التراب وهن أحياء خشية العار والفقر.

-أصدر البرلمان الإنجليزي قرارا في عصر هنري الثامن يحظر على المرأة أن تقرأ "العهد الجديد" لا نها تعتبر نجسة.

-القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات.

وفي العصر الحديث أصبحت المرأة تُطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكي تبدأ في العمل لنيل لقمة العيش، وإذا ما رغبت في البقاء في المنزل فإنها تدفع لوالديها إيجارغرفتها وثمن طعامها وغسيل ملابسها.

تلك هي المرأة في الأديان الأخرى المختلفة وعند الأقوام الآخرون ولقد سمعتم وقرأتم مالقيته هذه المخلوقة من أصناف التعذيب والإهانة الجسدية والمعنوية، حتى أشرقت شمس الإسلام عليها فلقيت كل خير وتكريم وحظيت بكل رعاية واهتمام.

فكيف يقارن هذا بالإسلام الذي أمر ببرها والإحسان إليها وإكرامها، والإنفاق عليها؟!

وأما تغير هذه الحقوق عبر العصور، فلا تغير فيها من حيث المبدأ

والتأصيل النظري، وأما من حيث التطبيق فالذي لا شك فيه أن العصر الذهبي للإسلام كان المسلمون فيه أكثر تطبيقا لشريعة ربهم، ومن أحكام هذه الشريعة: بر الأم والإحسان إلى الزوجة والبنت والأخت والنساء بصفة عامة. وكلما ضعف التدين كلما حدث الخلل في أداء هذه الحقوق، لكن لا تزال طائفة إلى يوم القيامة تتمسك يدينها، وتطبق شريعة ربها، وهؤلاء هم أولى الناس بتكريم المرأة وإيصال حقوقها إليها.

ورغم ضعف التدين عند كثير من المسلمين اليوم إلا أن المرأة تبقى لها مكانتها ومنزلتها، أمّـًا وبنتا وزوجة وأختا، مع التسليم بوجود التقصير أو الظلم أو التهاون في حقوق المرأة عند بعض الناس، وكل مسئول عن نفسه.

فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لا هله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها.

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها.

وإذا كانت أمـًا كان برُّها مقرونـًا بحق الله-تعالى-وعقوقها والإساءة إليها مقرونـًا بالشرك بالله، والفساد في الأرض.

وإذا كانت أختـًا فهي التي أُمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها.

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة.

وإذا كانت جدة، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها، وأحفادها،

وجميع أقاربها؛ فلا يكاد يرد لها طلب، ولا يُسَفَّه لها رأي.

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك.

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة.

ثم إن للمرأة في الإسلام حق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً أم أنثى.

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كُلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه.

ومن إكرام الإسلام للمرأة: أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة؛ فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها.

ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها بل ومن المحاسن-أيضـًا

أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيمـًا لا يطاق.

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالمـًا لها، سيئـًا في معاشرتها، فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئـًا من المال، أو تصطلح

معه على شيء معين ثم تفارقه.

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة: أن أنقذها من أيدي الذين يزدرون مكانها، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها؛ فقرر لها من الحقوق ما يكفل راحتها، وينبه على رفعة منزلتها، ثم جعل للرجل حق رعايتها، وإقامة سياج بينها وبين ما يخدش كرامتها.

ومن الشاهد على هذا قوله-تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ البقرة: ٢٢٨.

فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل؛ وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يدبره فأحقهم بالرياسة هو الرجل الذي شأنه الإنفاق عليها، والقدرة على دفاع الأذى عنها.

وهذا ما استحق به الدرجة المشار إليها في قوله-تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣٤.)

بل إن الله-عز وجل-قد اختص الرجل بخصائص عديدة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجليلة.

ومن تلك الخصائص ما يلي:

أ- أنه جُعل أصلها، وجعلت المرأة فرعه، كما قال-تعالى-: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء: ١.

ب- أنها خلقت من ضلعه الأعوج، كما جاء في قوله-عليه الصلاة والسلام-: «**استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلَع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ استوصوا بالنساء خيراً**».

ج- أن المرأة ناقصة عقل ودين، كما قال-عليه الصلاة والسلام-: «**ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن**».

قالت امرأة: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين**». فلا يمكن-والحالة هذه-أن تستقل بالتدبير والتصرف.

د- نقص قوَّتها، فلا تقاتل ولا يُسهَم لها.

هـ- ما يعتري المرأة من العوارض الطبيعية من حمل وولادة، وحيض ونفاس، فيشغلها عن مهمة القوامة الشاقة.

و- أنها على النصف من الرجل في الشهادة-كما مر-وفي الدية، والميراث، والعقيقة، والعتق.

هذه بعض الخصائص التي يتميز بها الرجل عن المرأة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله-: ولا ينازع في تفضيل اللهِ الرجلَ على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر؛ فهو أكبر دماغـًا، وأوسع عقلاً، وأعظم استعداداً للعلوم، وأقدر على مختلف الأعمال(.ومن إكرام الإسلام للمرأة أن جعل لها نصيبـًا من الميراث.

فللأم نصيب معين، وللزوجة نصيب معين، وللبنت وللأخت ونحوها نصيب على نحو ما هو مُفَصَّل في مواضعه.

ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث نصف ما للرجل، وقد يظن بعض الجهلة أن هذا من الظلم؛ فيقولون: كيف يكون للرجل مثل حظ الأنثيين من الميراث؟ ولماذا يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل؟.

والجواب أن يقال: إن الذي شرع هذا هو الله الحكيم العلم بمصالح عباده.

ثم أي ظلم في هذا؟ إن نظام الإسلام متكامل مترابط؛ فليس من العدل أن يؤخذ نظام، أو تشريع، ثم ينظر إليه من زاوية واحدة دون ربطه بغيره، بل ينظر إليه من جميع جوانبه؛ فتتضح الصورة، ويستقيم الحكم.

ومما يتبين به عدل الإسلام في هذه المسألة: أن الإسلام جعل نفقة الزوجة واجبة على الزوج، وجعل مهر الزوجة واجبًا على الزوج-أيضًا-.

ولنفرض أن رجلاً مات، وخلَّف ابنًا، وبنتًا، وكان للابن ضعف نصيب أخته، ثم أخذ كل منهما نصيبه، ثم تزوج كل منهما؛ فالابن إذا تزوج مطالب بالمهر، والسكن، والنفقة على زوجته وأولاده طيلة حياته.

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها، وليست مطالبة بشيء من نصيبها لتصرفه على زوجها، أو على نفقة بيتها أو على أولادها؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها، مع مهرها من زوجها، مع أنها لا تُطَالب بالنفقة على نفسها وأولادها.

أليس إعطاء الرجل ضعف ما للمرأة هو العدل بعينه إذاً؟

وبعد أن استبان لنا عظم شأن القوامة، وأنها أمر يأمر به الشرع، وتقرّه الفطرة السوية، والعقول السليمة-فهذا ذكر لبعض ما قاله بعض الغربيين من الكتاب وغيرهم في شأن القوامة؛ وذلك من باب الاستئناس؛ لأن نفراً من بني جلدتنا لا يقع الدليل موقعه عندهم إلا إذا صدر من مشكاة الغرب:

أ- تقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة، والتي حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي تقول: (إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناءً على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله به من قوة في تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام

الذاتية عند الرجل التي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك في المجالات الحياتية).

ب- الزعيمة النسائية الأمريكية (فليش شلافي) دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها.

ج- وفي كتاب صدر أخيراً عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة(أجاثا كريستي) ورد فيه قولها: «إن المرأة الحديثة مُغَفَّلة؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم؛ فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمق؛ لا ننا بذلنا الجهد خلال السنين الماضية؛ للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل.

والرجال ليسوا أغبياء؛ فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج.

ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف أننا نعود اليوم لنساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده.

د- وتقول طبيبة نفسية أمريكية: أيما امرأة قالت: أنا واثقة بنفسي، وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها.

هذا ما يقول العقلاء من أولئك القوم، فماذا يقول العلم الحديث في ذلك الشأن؟

لقد أثبت العلم الحديث أخيراً وَهْمَ محاولات المساواة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي يقوم به الرجل؛ فقد أثبت الطبيب (د.روجرز سبراي) الحائز على جائزة نوبل في الطب-وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة، الأمر الذي لا يمكن معه إحداث مساواة في

المشاعر وردود الأفعال، والقيام بنفس الأدوار.

وقد أجرى طبيب الأعصاب في جامعة (بيل) الأمريكية بحثًا طريفًا رصد خلاله حركة المخ في الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين أو حل مشكلة معينة، فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معًا.

وفي هذا دليل-كما يقول أستاذ جامعة بيل-أن نصْفَ مُخِّ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه مُخُّ المرأة إلا بشطريه.

وهذا يؤكد أن قدرات الرجل أكبر من قدرات المرأة في التفكير، وحل المشكلات.

وهذا ما اكتشفه البروفيسور ريتشارد لين من القسم السيكيولوجي في جامعة ألستر البريطانية حيث يقول: (إن عدداً من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائي بحوالي أربع أوقيات).

وأضاف لين: (أنه يجب الإقرار بالواقع، وهو أن دماغ الذكور أكبر حجمًا من دماغ الإناث، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء).

وقال: (إن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال في بريطانيا على ضعفي ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى).

وسواء صح ما قالوه أم لم يصح فإن الله-سبحانه-أخبرنا في كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال-عز وجل-: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ آل عمران: ٣٦.

فكل ميسر لما خلق له، وكل يعمل على شاكلته.

ولا يفهم من خلال ما مضى أن ضعف المرأة ونقصها الخلْقي يعد من

مساوئها بل هو من أعظم محاسنها.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-: ألا ترى أن الضعف الخِلْقيَّ والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب.

إن المرأة المسلمة على الرغم من المكانة المرموقة، والاهتمام البالغ النظير من هذا الدين العظيم لها، ومن عباد الله الصالحين إلا إنها لا زالت تجد حربـًا شعواء من أعداء كُثر، وكل منهم له غاية يريد الوصول إليها من خلال محاربته للمرأة المسلمة.

فمِن أعرابي جاهل لا يعترف إلا برأيه ولا يؤمن إلا بسطوته فيحرم قريباته من ميراث مستحق لهن ويمنعهن من تصرفهن في أموالهن، بل إنه يتجرأ بكل سذاجة وعشوائية فيستحل تلك الأموال غير آبهٍ بمآل تصرفه ذلك. إلى علماني قذر يدعو إلى حرية المرأة، وضرورة أن تقاسم الرجلَ في القوامة والنفقة وغيرها، يفرح حينما يظهر للمرأة نداء أو صوت في غير محلهما، ويغضب حينما تلزم بيتها وتعتني بأبنائها وما ذاك إلا لرغبته في أن ينتشر الفساد، ويعم البلاء.إلى غربي وشرقي كافر همّه أن ينتشر الزنا والبغاء في بلاد المسلمين وأن يحاول بكل ما يستطيع أن يدخل بلاد المسلمين وأن يستحلها وهو قد عرف أن الأمّة أصبحت تبعـًا لشهواتها وملذاتها من خلال تدمير ذلك الحصن الحصين

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام؛ فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية، فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها، ولقمة تسد جوعتها، وربما كان ذلك على حساب الشرف، ونبيل الأخلاق.

لقد كرم الاسلام المرأة، وجَعْلُها إنسانـًا مكرمـًا على عكس الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار، وتعدها مخلوقـًا نجسـًا؟.

لقد كرم الاسلام المرأة على على عكس من يجعلون المرأة سلعة يتاجرون بجسدها في الدعايات والإعلانات؟.

لقد كرم الاسلام المرأة على عكس الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مبايعة تنتقل فيه الزوجة؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجامعهم انعقدت؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها أهي من البشر أو لا؟ !.وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها، ورعاية زوجها، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها، أو شبابها، أو هرمها، وفي حال فقرها أو غناها، أو صحتها أو مرضها.

وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام-فإنما هو بسبب القصور والجهل، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين، والوزر في ذلك على من أخطأ والدين براء من تبعة تلك النقائص.

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه؛ لعلاج الخطأ.

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال: عفة، وصيانة، ومودة، ورحمة، ورعاية، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية.

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئـًا من تلك المعاني، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة، فترى أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية، وأنها لا بد أن تكون دُمية يعبث بها كل ساقط؛ فذلك سر السعادة عندهم.

وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها.

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن، وإبداء الزينة، وكشف الصدور، والأفخاذ، وما هو أشد؟ !.

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟!.

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟ !.

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة، والجدة، والعجوز؟.

إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجىء، ودور العجزة والمسنين؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها.

وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد، أو نحوه، فتأكل منه حتى تموت؛ فلا رحم هناك، ولا صلة، ولا ولي حميم.

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها-كما ذكرنا، لا نها أدَّت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية-فزعم باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب، والتخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم، كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

وهكذا تبين لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام، ومدى ضياعها وتشردها إذا هي ابتعدت عن الإسلام.

هذه نبذة يسيرة، وصور موجزة من تكريم الإسلام للمرأة.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ المائدة.

قال رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم.. شبراً بشبر.. وذراعاً بذراع.. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه..**» وفي رواية أخرى للحديث «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه معهم**». ففهم الصحابة الأجلاء المعنى فقالوا (يا رسول الله اليهود النصارى؟) فقال ﷺ: «**فمن؟**» يعني فمن غيرهم!!!

فما بال شبابنا وبناتنا متعلقين بجيفٍ خسروا الدنيا والآخرة

جيف كافرة شيوعية ملحدة لا تعرف ربًا ولا رسولاً ولا دينًا ولا شرعًا ولا أخلاقًا بل هي إلى الحيوانات أقرب ـ بل كرم الله الحيوان عنها ـ

إن الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، أمر مهم جدا، لصناعة الرجال، فإن لم يقتد الشاب المسلم بسلفه، فسوف يقتدي بالجيف ومن على شاكلتهم.

إن أمة تملك سيراً موثقة لا كثر من نصف مليون علم من أعلامها، لن تعدم

قدوة صالحة منهم.

فما بال شبابنا وقد والوا اليهود والنصارى بل وصل الأمر إلى تولية الشيوعيين الملحدين؟؟!!ألا يعلم هؤلاء الشباب إن الولاء والبراء ركن من أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان.

ومعنى الولاء: هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم.

والبراء: هو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق.

فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته.

وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان وهو من أعمال القلوب لكن تظهر مقتضياته على اللسان والجوارح، قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**» [أخرجه أبو داود].

وروى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**». فهل يتم الدين أو يُقام عَلَم الجهاد أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقانًا بين الحق

والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده.

فتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يواد إلا لله، ولا يُعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله.

وعلى المسلم أن يحذر من أصحاب البدع والأهواء الذين امتلأت بهم الأرض، ولْيتجنَّب الكفار وما يبثون من شبه وشهوات، وليعتصم بحبل الله المتين وسنة نبيه الكريم.

وعلى المسلم أن يفطِن إلى الفرق بين حسن التعامل والإحسان إلى أهل الذمة وبين بُغضهم وعدم محبتهم.

ويتعيَّن علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر.

ومن برهم لتُقبل دعوتنا: الرفق بضعيفهم، وإطعام جائعهم، وكسوة عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف معهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، والدعاء لهم بالهداية، وينبغي أن نستحضر في قلوبنا ما جُبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا محمد - ﷺ.

روى أبو داود في سننه- (ج ٤ / ص ٧٨) برقم ٤٠٣٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**». قال الألباني صحيح.

الأدب مع أولي الأمر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء/ ٥٩]

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾ يعني: أهل الفقه والدين. وكذا قال مجاهد، وعطاء، والحسن البصري.

وقال أبو العالية: ﴿وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾ يعني: العلماء. قال ابن كثير والظاهر -والله أعلم-أن الآية في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء،. وقد قال تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣] وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته ﴿وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، كما في الحديث الصحيح: "إنما الطاعة في المعروف"

ولما كان العلماء داخلين في عموم ولا ة الأمر رأينا أن نوضح كيفية الأدب مع العلماء.

أول الأدب معهم أن نلتزم معرفة حقهم لأنه من شعب الإيمان وفي الحديث قال «**ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ! ويعرف لعالمنا حقه**». (حم ك) عن عبادة بن الصامت. وحسنه الألباني برقم٥٤٤٣ في صحيح الجامع.

ومن فضلهم: أنهم فئة رفع الله قدرهم كما أخبر سبحانه ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة]

وكما قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨]

ولم يسوي بينهم وبين غيرهم ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر]

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾

قال بن كثير في تفسيره: قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟

وقال ابن عباس في رواية: خرابها بموت فقهائها وعلمائها وأهل الخير منها وحسبك من طائفة يذهب الدين بذهابهم ويبقى ببقائهم كما أخبر النبي ﷺ في أحاديثه التي منها:

١/ ما رواه البخاري في صحيحه برقم ١٠٠عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

٢/ وروى البخاري في صحيحه ٦٨٨١ومسلم برقم١٩٢١ من حديث المغيرة بن شعبة: عن النبي ﷺ قال «**لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**» (ظاهرين) قائمين بشرع الله عز وجل لا يغلبهم أحد على ذلك.

قال الشاعر:

الأرض تحيَا إذا ما عَـاش عالمهـا ... مَتَى يمُتْ عَالم منها يمُـت طَـرفُ
كالأرض تحْيَا إذا ما الغيث حَل بهـا ... وإن أبى عَاد في أكنافهَـا التَّلَـفُ

ومن فضلهم عند ربهم أنه سبحانه صلى عليهم كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**». رواه الطبراني عن أبي أمامة. وصححه الألباني١٨٣٨ في صحيح الجامع.

وبعد معرفة حقهم ينبغي أن نتخلق معهم بالآتي:

١/ التواضع مع العلماء كما ذكر الله تعالى في قصة يوشع وموسى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف/ ٦٢-٦٧]

وانظر قصة بن عباس مع زيد بن ثابت حيث كان بن عباس يمسك بركابه. روى ابن المبارك عن داود وهو ابن أبي هند عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.(الإصابة ٢/ ١٤٤)

وفي سير الأعلام عن أبي سلمة، أن ابن عباس قام إلى زيد بن ثابت. فأخذ له

بركابه، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ ! فقال: إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا(قال الأرنؤوط إسناده حسن) وأخرجه ابن سعد ٢ / ٣٦٠، من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري بهذا الإسناد، وصححه الحاكم ٣ / ٤٢٣، وأقره الذهبي، وهو في " تهذيب ابن عساكر " ٥ / ٤٥١، ٤٥٢.وأخرجه الطبراني (٤٧٤٦) من طريق علي بن عبد العزيز، عن أبي نعيم رزين الرماني. عن الشعبي أن زيد بن ثابت..، وأورده الهيثمي في " المجمع " ٩ / ٣٤٥، وقال: رجاله رجال الصحيح غير رزين الرماني وهو ثقة.

وقال الأصمعي: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا (أدب الاملاء ١ / ١٤٥)

وفي كتاب (أدب الاملاء ١ / ١٤٤) قال عمر بن عثمان بن الحسين الجنزي:

تواضع إذا ما طلبت العلوم تكن أكثر الناس علما ونفعا
وكل مكان أشد انخفاضا يرى أكثر الأرض ماء ومرعى-

وقال الشافعي: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح(الفقيه والمتفقه ١ / ٤٤٧)

٢/ توقير العلماء وهيبتهم: وهكذا كان يفعل الصحابة مع العلماء ولك ما ذكره بن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن عبيد بن حنين، أنه سمع ابن عباس رضي الله عنه يقول: «مكثت سنة، وأنا أشك في سنتين، وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ وما أجد له موضعا أسأله فيه حتى خرج حاجا وصحبته حتى إذا كان بمر الظهران وذهب لحاجته، قال: أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع أتيته بالإداوة أصبها عليه فرأيت

موضعا فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله ﷺ؟ فما قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة»

قال أبو عمر: «لم يمنع ابن عباس من سؤال عمر عن ذلك إلا هيبته (٢ / ٤٥).

وفي كتاب أدب الإملاء (١ / ١٣٦) قال عبد الله بن نصر:

وقر مشائخ أهل العلم قاطبة ... حتى توقر إن أفضى بك الكبر
واخدم أكابرهم حتى تنال به ... مثلا بمثل إذا ما شارف العمر

وقال الشاعر:

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

٣/ النصيحة للعلماء: لقوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ ولقوله ﷺ: «**ولأئمة المسلمين وعامتهم**» وينبغي أن تكون النصيحة في خفاء بغرض زوال المفسدة.

قال الشافعي:

تعهدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التقبيح لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تغضب إذا لم تلق طاعة

وقال الفضيل (المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير)

وقال هارون الرشيد للأصمعي: كن وقرنا في الملأ وعلمنا في الخلاء تاريخ بغداد - (ج ٦ / ص ١٧٤)

٤/ مداراة العلماء: وهذا يعني إن رأيت من العالم خلقا غير طيب كجفوة

أو غلظة فاصبر وتحمل حتى تأخذ الفائدة المرجوة.

قال عمر بن عثمان الجنزي كما في (أدب الاملاء ١ / ١٤٦:

لا تنكـــرن لســـوء خلـــق عالمـــا واعذره في عذر احتمـــال أذاكـــا
فالعلم أحـــرى بالـــدلال لا هلـــه وأجل من أن يســـتمل هواكـــا.

وقال بلال بن أبي بردة: لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا.

وقال الخليل بن أحمد اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري (جامع بيان العلم وفضله٢ / ١٥١)

وفي كتاب (أدب الاملاء١ / ١٤٤) قال حمد بن علي بن إبراهيم النطنزي:

يا طالبا للعلـــم كـــي تحظـــى بـــه دينـــا ودنيـــا حظـــوة تعليـــه
إسمعـــه ثم احفظـــه ثم اعمـــل بـــه لله ثم انشـــــره في أهليـــــه

٥/ الدفاع عن العالم إذا تناوله الناس بسوء والغيرة عليه أكثر من الغيرة على الوالدين: وذلك لأن العالم يخاف عليك نار الآخرة وأبواك يخافان عليك نار الدنيا وينبغي أن تعلم أن لحم العالم مسموم فالكلام في شأن من رفعه الله على غيره ليس ككلام على غيره.

والأدب الحسن له ثقله في موازين العباد كما في قوله ﷺ: «**أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن إن الله يبغض الفاحش المتفحش البذي**» (البيهقي) عن أبي الدرداء وصححه الألباني١٣٥ في صحيح الجامع.

وروى ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم في المستدرك وصححه الألباني ٢٣٤٩ في صحيح الجامع. عن أبي هريرة. قال: قال ﷺ «**إنما بعثت لا تمم صالح الأخلاق**».

وروى أبوداود وبن حبان وصححه الألباني عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم**»

وروى الطبراني عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوؤكم أخلاقا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون**». صححه الألباني ١٥٣٥ في صحيح الجامع.

وروى الترمذي عن عم زياد بن علاقة قال: قال ﷺ «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**». صححه الألباني ١٢٩٨ في صحيح الجامع.

وروى الطبراني في الأوسط عن جابر قال: قال ﷺ: «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**» صححه الألباني ١٧٤٣ في صحيح الجامع..

وروى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة قال: قال ﷺ: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت**» حسنه الألباني١٢٦٦ في صحيح الجامع.

قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتما وعويلا

وقال غيره:

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقال غيره:

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يزين ربه بخلاق.
والعلم إن لم تكتنفه شمائل ... فعليةٌ كان مطية الإخفاق.

وفي (أدب الاملاء ١ / ١٤٥) يقول الأصمعي: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا.

ويقول عمر بن عثمان الجنزي:

تواضع إذا ما طلبت العلوم ... تكن أكثر الناس علما ونفعا
وكل مكان أشد انخفاضا ... يرى أكثر الأرض ماء ومرعى

قال حمد بن علي بن إبراهيم النطنزي:

يا طالبا للعلم كي تحظى به ... دينا ودنيا حظوة تعليه
إسمعه ثم احفظه ثم اعمل به ... لله ثم انشره في أهليه

قال الشافعي: " لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح" (الفقيه والمتفقه ١ / ٤٤٧).

الأدب مع الأمراء

صنفان من الناس إذا صلحا صلحت الدنيا وإذا فسدا فسدت الدنيا العلماء والأمراء.

أول شيء في الأدب مع الأمراء الطاعة في المعروف: لما جاء في صحيح البخاري برقم ٦٦١عن أنس عن النبي ﷺ قال«**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشيٌ كأن رأسه زبيبة**».

قوله ﷺ: «**وإن استعمل عليكم**» أي ولو جعل الخليفة بعض عبيده أميرا عليكم. قوله ﷺ: «**زبيبة**» أي صغيرة قدر الزبيبة. وهذا من علامة قلة عقله وكثرة حمقه. وفي صحيح مسلم برقم (١٢٩٨) عن يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين قال سمعتها تقول: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته والآخر رافع ثوبه على رأس رسول الله ﷺ من الشمس قالت فقال رسول الله ﷺ قولا كثيرا ثم سمعته يقول «**إن أمر عليكم عبد مجدع (حسبتها قالت) أسود يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا**».

و في صحيح مسلم برقم(١٨٣٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**».

ما يؤخذ من الأحاديث:

١/ وفيه النهي عن الخروج على السلاطين وإن جاروا لأن فيه تهييج فتنة تذهب بها الأنفس والحرم والأموال. [فتح الباري ابن حجر٢ / ١٨٧]

٢/ والخروج على السلاطين ليس من منهج أهل السنة كما في كتاب السنة

لأبي بكر بن الخلال: أن أبا الحارث قال: سألت أبا عبد الله(أحمد بن حنبل) في أمر كان حدث ببغداد، وهمَّ قوم بالخروج، فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم، فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله، الدماء، الدماء، لا أرى ذلك، ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه، يعني أيام الفتنة، قلت: والناس اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان، فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا، ويسلم لك دينك خير لك، ورأيته ينكر الخروج على الأئمة، وقال: الدماء، لا أرى ذلك، ولا آمر به. (السنة لأبي بكر بن الخلال ١ / ١٠٥). ومثل الخروج على الأئمة مثل من يبني قصرا ويهدم مصرا [عمدة القاري ٥ / ٢٢٨].

ووجه الدلالة منه أنه أمر بطاعة العبد الحبشي والإمامة العظمى إنما تكون بالاستحقاق في قريش فيكون غيرهم متغلبا فإذا أمر بطاعته استلزم النهى عن مخالفته والقيام عليه فان طاعته تجب إخمادا للفتنة ما لم يأمر بمعصية [الفتح لا بن حجر١٣ / ١٢٢].

وبأن المراد بالطاعة الطاعة فيما وافق الحق كما روى مسلم في صحيحه برقم ١٨٤٠ عن علي: أن رسول الله ﷺ بعث جيشا وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال ادخلوها فأراد الناس أن يدخلوها وقال الآخرون إنا قد فررنا منها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها «**لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**» وقال للآخرين قولا حسنا وقال «**لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف**».

وفي كتاب السنة لأبي بكر بن الخلال ج ١ / ٧: قال أبو عبد الله(أحمد بن حنبل): الأضحى إلى الإمام والفطر إذا أفطر الإمام أفطر الناس، وإذا ضحى

الإمام ضحى الناس، والصلاة إليه أيضا.

قال العلماء معناه تجب طاعة ولا ة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية فإن كان معصية فلا سمع ولا طاعة أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم

وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وهدفها اجتماع كلمة المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم مسلم نووي ١٢ / ٢٢٥].

٥/ في صحيح مسلم (١٨٤٦) عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال «**اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**».

أي أن الحكام يجب عليهم ما كلفوا به من إقامة العدل وإعطاء حق الرعية فإن لم يفعلوا فعليهم الوزر والوبال وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة وأداء الحقوق فإن قمتم بما عليكم يكافئكم الله سبحانه وتعالى بحسن المثوبة.

٢/ ومن الأدب مع ولي الأمر الصلاة والجهاد معه:

جاء في سنن ابن ماجه برقم ١٢٥٧عن عبادة بن الصامت: - عن النبي ﷺ قال «**سيكون أمراء تشغلهم أشياء. يؤخرون الصلاة عن وقتها. فاجعلوا صلاتكم معهم تطوعا**» صححه الألباني.

والحديث علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشيء قبل وقوعه وقد وقع أشد من ذلك في زمن الحجاج وغيره حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على

وجهها فكان بعض الورعين يصلي وحده سرا ثم يصلي معه خشية وقوع الفتنة.

وفي [فيض القدير٤ / ١٠٠] قال القاضي: أمرهم بذلك حذرا من هياج الفتن واختلاف الكلمة. وفي السنة لأبي بكر بن الخلال - (ج ١ / ٤٣) عن عبادة بن الصامت قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيثما كنا، ولا نخاف في الله لومة لائم**».

٣/ من أدب الدخول على الحكام عدم تصديقهم في الكذب وعدم إعانتهم على الظلم:

لما جاء في سنن الترمذي برقم ٢٢٥٩عن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول الله ونحن تسعة خمسة وأربعة أحد العددين من العرب والآخر من العجم فقال «**اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد عليّ الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد عليّ الحوض**» (صححه الألباني).

ولما في صحيح مسلم برقم ١٨٥٥ من حديث عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعت رسول الله يقول «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**» قالوا قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة**».

٥/ النصيحة له في جميع أموره:

لما ورد في السنة لا بن أبي عاصم - (ج ٣ / ٩٣) من حديث تميم الداري،

أن النبي قال: «**الدين النصيحة**». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**» صحيح الجامع ١٦١٠

وفي السنة لا بن أبي عاصم - (ج ٣ / ٨٩) من حديث جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**» صحيح الجامع برقم ٦٧٦٦).

والمعنى: أن هذه الثلاث تستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر.

كيفية النصيحة لولي الأمر:

في السنة لا بن أبي عاصم - (ج ٣ / ١٠١) قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم: ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلوا به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه**» صححه الألباني في ظلال الجنة برقم ١٠٩٦.

وهذا يعني عدم تناولها على منبر أو في صحيفة أو قناة وإلا يكون فاضحا ومشنعا وهذا ليس من الهدي الصحيح.

الصبر على الولاة:

في صحيح البخاري برقم ٦٦٤٥ عن ابن عباس: عن النبي ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج عن السلطان شبرا مات ميتة جاهلية**» وأخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.. رقم ١٨٤٩.

❁ بيان ما في الحديث:

قوله ﷺ: «**من كره من أميره شيئا**» أي رأى منه ما يكره وينكر في شرع الله عز وجل أو ما يسيئه هو ويكرهه. قوله ﷺ: «**خرج من السلطان**» من طاعته.

قوله ﷺ: «**شبرا**» قدر شبر وهو كناية عن عدم الطاعة بأدنى شيء.

قوله ﷺ: «**ميتة جاهلية**» كموت أهل الجاهلية من حيث إنهم لم يعرفوا طاعة الإمام.

٦/ قتل الخارجين الذين يزعزعون استقرار الأمة كما في ظلال الجنة ٢ / ٢٨١ برقم ١١٠٦ وصححه الألباني. عن أسامة بن شريك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فرق بين أمتي وهم جميع فاضربوا رأسه كائنا من كان**».

٧/ الدعاء له بظهر الغيب ليصلحه الله ويصلح على يديه:

لما في السنة لأبي بكر بن الخلال (ج ١ / ٢٣) أن أبا مسلم الخولاني، قال في الحاكم: (إنه مؤمر عليك مثلك، فإن اهتدى فاحمد الله، وإن عمل بغير ذلك فادع له بالهدى، ولا تخالفه فتضل). ولما قاله الإمام البربهاري في شرح السنة: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

ولما يقوله الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان قيل له يا أبا علي فسّر لنا هذا: قال إذا جعلتها في نفسي لم تتعدني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لا نفسهم وللمسلمين[شرح السنة للبربهاري ١/ ٥١].

الأدب مع الوالدين

الوالدان فضل وصلاحية:

قال ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم**».(حم خد د ت) عن أبي هريرة. حسنه الألباني رقم: ٣٠٣١ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده ودعوة الصائم ودعوة المسافر**». (أبو الحسن بن مهرويه في الثلاثيات الضياء) عن أنس. حسنه الألباني رقم: ٣٠٣٢ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**». (أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وبن حبان) عن أبي بكرة. حسنه الألباني رقم: ٣٣٨٨ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**الوالد أوسط أبواب الجنة**». (أحمد والترمذي وبن ماجه) عن أبي الدرداء. صححه الألباني رقم: ٧١٤٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما**». (الطبراني في الكبير) عن ابن عمرو. صححه الألباني رقم: ٣٥٠٧ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**الزم رجلها فثم الجنة**». (ابن ماجه ـ) عن معاوية بن جاهمة. حسنه الألباني رقم: ١٢٤٨ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا: عاق ومنان**

ومكذب بالقدر». (الطبراني في الكبير) عن أبي أمامة. حسنه الألباني رقم: ٣٠٦٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر**». (النسائي) عن ابن عمرو. صححه الألباني رقم: ٧٦٧٦ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين**». البخاري في التاريخ والطبراني في الكبير) عن أبي بكرة. صححه الألباني رقم: ١٣٧ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور**». (صحيح البخاري عن أنس. صححه الألباني رقم: ١١٩٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**إن الله تعالى حرم عليكم: عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات وكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**». (متفق عليه) عن المغيرة بن شعبة. صححه الألباني رقم: ١٧٤٩ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه**». رواه أحمد ومسلم عن ابن عباس. صححه الألباني رقم: ٢٥٣٣ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه**». رواه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي وبن ماجه) عن أبي هريرة. صححه الألباني رقم: ٧٦٢٢ في صحيح الجامع.

حقوق الوالدين على الولد:

١/ الحرص على هدايتهما:

فنوح عليه السلام دعا لوالديه بالمغفرة اعترافا بفضلهما فقال كما جاء في سورة[نوح/ ٢٨]: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴿٢٨﴾﴾.

وإبراهيم عليه السلام أحسن صحبة أبيه ووعد بأن يستغفر له فقال الله تعالى كما في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لا بِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لا رْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

ثم دعا إبراهيم عليه السلام لوالديه بالمغفرة كما في سورة [إبراهيم/ ٤١]: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

وبعد استمرار أبيه على الكفر تبرأ منه كما قال الله تعالى في سورة [التوبة/ ١١٤]: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لا بِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لا وَّاهٌ حَلِيمٌ﴿١١٤﴾﴾

حرص النبي محمد ﷺ على استغفاره لا مه كما في مسند أحمد بن حنبل - (ج ٥ / ص ٣٥٥) برقم (٢٣٠٥٣)- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن بن موسى وأحمد بن عبد الملك قالا ثنا زهير قال أحمد بن عبد الملك في حديثه

ثنا زبيد بن الحرث اليامي عن محارب بن دثار عن بن بريدة عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب ففداه بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك قال «**انى سألت ربي عز وجل في الاستغفار لا مي فلم يأذن لي فدمعت عيناي رحمة لها من النار وإني كنت نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا**» قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وحرص النبي محمد ﷺ على إسلام عمه أبي طالب كما في صحيح البخاري - (برقم٣٦٧١)- حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال «**أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنه**». فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]. ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

٢/ الإنفاق عليهما وكفايتهما:

قال النبي محمد ﷺ: «**إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان**» رواه الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة. وصححه

الألباني رقم: ١٤٢٨ في صحيح الجامع.

قال النبي محمد ﷺ: «**أنت ومالك لا بيك**» رواه بن ماجه عن جابر ، ورواه الطبراني في الكبير عن سمرة وابن مسعود. وصححه الألباني رقم: ١٤٨٦ في صحيح الجامع.

٣/ حسن صحبتهما والتشرف بهما:

قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ [النساء/ ٣٦]

قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

٤/ الإعتراف بما فعلاه من جميل:

قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

٥/ الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة:

يقول الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء/ ٢٣، ٢٤].

يقول القشيري في اللطائف: خفض الجناح يكون بحسن المداراة ولين المنطق والبدار إلى الخدمة وسرعة الإجابة وترك البرم بمطالبهما والصبر على أمرهما وألا تدخر عنهما ميسورا.

٦/ وتأمين مستقبلهما بعد موتهما بالصدقة الجارية ومشاريع الخير.

٧/ وصلة أهل ودهما:

قال ﷺ: «**إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب**» رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي. عن ابن عمر. وصححه الألباني رقم: ١٥٢٥ في صحيح الجامع.

مفارقات

قوله ﷺ: «**أنت ومالك لا بيك**»"

ذكر العلامة الشمس العلقمي في حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال: جاء رجل إلى النبي (فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالي؟

فقال النبي للرجل: «**اذهب فأتني بأبيك**». فنزل جبريل على النبي فقال: «**إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: إذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه**». فلما جاء الشيخ قال له النبي: «**ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟**»

فقال: يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي؟

فقال: «**أيها الشيخ دعنا من هذا. أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك**».

فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينـًا، لقد قلت في نفسي شيئـًا ما سمعته أذناي فقال له: «**قل فأنا أسمع**».

فقال:

غذيتك مولوداً وعلتك يافعاً ... تعل بما أسدي إليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم ... أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت شيء مسجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... لها مدةٌ قد كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال: فحينئذ أخذ رسول الله ﷺ بجلباب ابنه وقال له: «**أنت ومالك لأبيك**». انتهى.

ويقول خير الدين وانلي رحمه الله في شعره:

عقوق الوالدين هو الجحيم ... وبر الوالدين هو النعيم
ومن للوالدين يقول: أف ... ففي سقر على جمر مقيم
فكم سهرا عليك وأنت طفل ... وكم رعياك والمولى عليم
وكم جاعا لتشبع دون منٍّ ... وكم تعبا ليرتاح السقيم
أتجزي صانع المعروف سوءا ... ويجزي الخير بالشر اللئيم
ألم تعلم بأن الدهر دور ... وأنك مثلما تبغي ظليم
فمن يزرع عقوقا يجن شرا ... من الأبناء والبادي أثيم
ومن يجحد صنيع الناس يجحد ... عطاء الله والباري حكيم
ومن أبدي لوالده عقوقا ... فللغرباء مرتعه وخيم
فمن لا خير للأبوين فيه ... فما للناس فيه ما تشيم

ومن يكن العقوق له شعارا ... فما في طبعه شيء سليم
فبادر واغتنم برا بأم ... سقتك حليبها وأب يهيم
فما في الأرض أولى من رحيم ... ببر والإله به رحيم
وما في الكون أزرى من عقوق ... فذاك كبيرة وله الجحيم

ومن العقوق تشويه سمعة الوالدين وذلك بذكر معائبهما والمآخذ عليهما. مثل مافعله الحطيئة بأمه وأبيه ونفسه، فقال في أمه:

تَنَحَّىْ فاقْعُدِى مِنِّى بَعِيداً ... أَراحَ اللهُ مِنْكِ العالَمِينَا
أَلَمْ أُوضح لَكِ البَغْضاءَ مَنى ... ولكِنْ لا إِخالُكِ تَعْقِلِينَا
أَغِرْبالاً إِذَا اسْتُودِعْتِ سِراً ... وكانُوناً على المُتَحَدَّثِينَا
جَزاكِ اللهُ شَراً مِنْ عَجُوزٍ ... ولَقَّاكِ العُقُوقِ مِنَ البَنِينَا
حَيَاتُكِ ما عَلِمْتُ حَيَاةُ سَوْءٍ ... ومَوْتُكِ قد يَسُرُّ الصَّالِحِينَا

وقال لابيه:

لَحَاكَ اللهُ ثم لَحَاكَ حقّاً ... أَباً ولَحَاكَ من عَمٍّ وخالِ
فنِعمْ الشَّيْخُ لَدَى المَخَازِى ... وبِئسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى المعالِي
جَمَعْتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاكَ رَبِّى ... وأَبْوابَ السَّفَاهةِ والضَّلاَلِ

وقال لنفسه:

أَبَتْ شَفَتَاىَ اليَوْمَ إلاَّ تَكَلُّماً ... بِسُوءٍ فما أَدْرِى لِمَنْ أَنا قائِلُهُ
أَرَى لَي وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ ... فقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبَّحَ حامِلُهُ

(الشعر والشعراء ١/ ٦٣).

الأدب مع الوالدين يكون بالآتي:

بمعرفة قدرهما وحسن الصحبة بالإنفاق والإضحاك والتواضع وتحمل الأذى والنصيحة وعدم التأفف والدعاء لهما والعدل فيهما وتر العقوق لأنه يسبق قتل النفس وقول الزور ويأتي بعد الشرك ويحرم من الجنة ويوصل إلى النار.

أدب الزوجين

قدر الرجل:

١/ هو أصل المرأة ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] وبما أن الليل خلق منه النهار فالرجل للمرأة ليل تري فيه أمنها وسكنها ولباسها ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [النبأ]

٢/ من فضل الزوج أن المرأة تنال الخيرية بحسن تهيئها لزوجها

قال «**خير النساء التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**». (أحمد والنسائي) عن أبي هريرة. ٣٢٩٨ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه**». (الطبراني) عن معاذ. ٥٢٥٩ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لا مرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**». (أحمد وبن ماجه) عن عبدالله بن أبي أوفى. (حسن) ٥٢٩٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لا مرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسه ما أدت حقه**». (أحمد والنسائي) عن أنس. (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٧٢٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**كل نفس من بني آدم سيد فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها**». (ابن السني في عمل اليوم والليلة) عن أبي هريرة. (صحيح) ٤٥٦٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**». (متفق عليه» عن ابن عمر.

هو جنة زوجته لما قاله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**». (بن حبان) عن أبي هريرة. (صحيح) ٦٦٠ في صحيح الجامع

قدر المرأة:

١/ هي لباس ، حرث ، زينة ، سكن ، صاحب ، نهار الرجل من أجلها يسعى للمعاش.

٢/ سبيل خيرية الرجل وأفضليته لما رواه البخاري في صحيحه برقم ٤٧٨٢عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس هل تزوجت؟ قلت لا قال فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء.

٣/ هي سعادة الرجل لما رواه ابن حبان في صحيحه برقم٤٠٣٢ من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وأربع من الشقاوة: الجار السوء والمرأة السوء والمسكن الضيق والمركب السوء**» قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

٤/ هي سبيل تسكين الغرائز لحديث مسلم ١٤٠٣ عن جابر أن رسول الله رأى امرأة فأتي امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**».

٥/ طبيعة المرأة:

أ/ الضعف لحديث سنن ابن ماجه برقم ٣٦٧٨ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**» قال الشيخ الألباني: حسن.

ب/ العوج لحديث البخاري في الصحيح برقم ٣٥١٣عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله «**استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء**».

ج / حب الرياسة لحديث «**كل نفس من بني آدم سيد فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها**» (صحيح السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٤١ ورواه بن السني في عمل اليوم والليلة.

د/ في أمور الطاعة شقيقة الرجل لها ماله من الثواب وعليها ما عليه من العقاب لحديث «**إن النساء شقائق الرجال**» (أحمد) عن عائشة. صححه الألباني ١٩٨٣ في صحيح الجامع.

هـ/ ومن طبيعتها أنها تخفي الحب وتتمنع من ظهوره وإذا كرهت لا تخفي الكره وهي بعكس الرجل.

وفي كتاب التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي:

الرجل يمكن أن يكتم حبها يوماً واحداً، والمرأة تكتم حب الرجل أربعين

عاماً، ولا يمكنها أن تكتم بغضه يوماً واحداً. ابن المعتز: من أتعب نفسه في الحلال لم يتق إلى الحرام، وهو كالطليح الذي مناه أن يستريح.

هي الضّلع العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضّلوع انكسارها

و/ والمرأة متاع الرجل لما قال «**إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة**». (النسائي) عن ابن عمرو. صحيح ابن ماجه رقم: ١٥٠٤ وهو(صحيح).

ز/ والمرأة تعين على الإتزان والإنضباط فبها تقر عين الرجل لما قاله ﷺ: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**». (أحمد ومسلم) عن جابر. (صحيح) ١٩٤٠ في صحيح الجامع.

وحق المرأة أن يغار عليها الرجل ويحميها من ذئاب البشر حتى لا يكون ديوثا لما قاله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى**». (أحمد والنسائي) عن ابن عمرو. (صحيح) ٣٠٧١ في صحيح الجامع.

حق الزوجة:

١/ أن يعطها صداقها لقوله تعالى ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] ولما قال ﷺ: «**إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها ورجل استعمل رجلا فذهب بأجرته وآخر يقتل دابة عبثا**». (الحاكم والبيهقي) عن ابن عمر. (حسن) ١٥٦٧ في صحيح الجامع.

٢/ وحسن العشرة من إطعام وكساء وسكنى وسائر النفقات ومن حسن

معاملة ورفق ولين وبشاشة ومداعبة وملاعبة واحتمال ثورة.

ومن لوازم حسن العشرة ما رواه الطبراني في الكبير عن معاوية بن حيدة أن النبي ﷺ قال: «**حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت**». ٣١٤٩ في صحيح الجامع.

ما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال: قال ﷺ «**استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا**».

وما رواه أحمد في المسند بإسناد حسنه الألباني عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع فإن ذهبت تقومها كسرتها وإن تدعها ففيها أود وبلغة**». ١٩٤٢ في صحيح الجامع.

وما رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها**».

وقوله ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها**». (صحيح) ١٩٤٤ في صحيح الجامع.

٣/ / حماية العرض في البيت بإعفافها وخارجه.

٤/ التعاون على البر والتقوى كأن يأمرها بصلة أرحامها وإخراج زكاتها.
٥/ يعلمها ويبين لها ما اشتبه عليها.

ولما قاله ﷺ: «**إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه وإن كان بعيرا فليأخذ بذروة سنامه**». (الحاكم والبيهقي) عن ابن عمرو. (حسن) ٣٦٠ في صحيح الجامع.

٦/ لا يروعها بالطلاق والحرام والظهار ولا يطرقها ليلا. كما قال ﷺ: «**لا تطرقوا النساء ليلا**». (الطبراني) عن ابن عباس. (صحيح) ٧٣٦٢ في صحيح الجامع.

وفي كتاب الموشى للوشا: وأحسن والله المؤمَّل حيث يقول:

إني قُتلتُ بلا جُرمٍ، وقاتلتي ... يا قومِ، جاريةٌ في طَرفها حَوَرُ
لما رمَت مُهجتي قالت لجارتها ... إني قتلتُ قتيلاً ما له خَطَرُ
قتلتُ شاعر هذا الحيّ من مُضرٍ ... فالله يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ

٧/ ولا يعضلها إن كرهها وإن طلقها فليحسن طلاقها. ولا يضر بها لما قال «**ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء**». (متفق عليه) عن ابن عمر. (صحيح) ٥٣٦٧ في صحيح الجامع.

٨/ وأن يحفظ سرها ويداريها. لما قاله ﷺ: «**عسى رجل يحدث بما يكون بينه وبين أهله أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين زوجها فلا تفعلوا فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها والناس ينظرون**». (الطبراني) عن أسماء بنت يزيد. (حسن) ٤٠٠٨ في صحيح الجامع.

٩/ ومن حقها عليه إن فحشت أن يطلقها لما قاله ﷺ: «**ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ورجل آتى سفيها ماله وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥]. (الحاكم) عن أبي موسى. (صحيح) ٣٠٧٥ في صحيح الجامع.**

١٠/ ومن حقها أن يعينها على الطاعة. قال ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيرا

والذاكرات». (أبوداود والحاكم) عن أبي سعيد وأبي هريرة. (صحيح) ٦٠٣٠ في صحيح الجامع.

ولما قاله ﷺ: «**رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» (أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة). (صحيح) ٣٤٩٤ في صحيح الجامع.

١١/ ومن حقها عليه أن يعظها لما قال ﷺ: «**يا عائشة ! عليك بتقوى الله والرفق فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شانه**». (أحمد وأبو داود) عن عائشة. (صحيح) ٧٩٢٧ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**مهلا يا عائشة ! عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش**». (صحيح البخاري) عن عائشة. (صحيح) ٦٦٢٧ في صحيح الجامع.

١٢/ ومن حقها عليه أن يعلمها لما قال ﷺ: «**يا عائشة ! استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب - يعني القمر -(أحمد والترمذي) عن عائشة. (صحيح) ٧٩١٦ في صحيح الجامع**

قال ﷺ: «مه يا عائشة ! فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش». (مسلم) عن عائشة. (صحيح) ٦٦٢٦ في صحيح الجامع.

١٣/ ومن حقها عليه أن يبين لها ما اشتبه عليها ويصبر لما قال ﷺ: «**يا عائشة ! إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه**». (الترمذي) عن عائشة. (صحيح) ٧٩٢٥ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**يا عائشة ! لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لا مرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين: باب شرقيا وباب غربيا فبلغت به أساس إبراهيم**». (متفق عليه) عن عائشة. (صحيح)

٧٩٢٨ في صحيح الجامع.

١٤/ ومن حقها أن يطعمها ويسقيها ويكسوها قال ﷺ: «**ما أعطى الرجل امرأته فهو صدقة**». (أحمد) عن عمرو بن أمية الضمري. (صحيح) ٥٥٤٠ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر**». (البخاري في التاريخ والطبراني في الكبير عن العرباض. (حسن) ٦٠٢ / ١ في صحيح الجامع الصحيحة (٢٧٣٦).

١٥/ من حقها أن يلاعبها ويؤانسها لما قال ﷺ: «**كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته وتأديب الرجل فرسه ومشي الرجل بين الغرضين وتعليم الرجل السباحة**». (النسائي) عن جابر بن عبدالله وجابر بن عمير. (صحيح) ٤٥٣٤ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**يا عائش ! هذا جبريل يقرئك السلام. متفق عليه) عن عائشة. (صحيح) ٧٩١٥ في صحيح الجامع.**

١٦/ ومن حقها ألا يضربها ولا يقبح لما قال ﷺ: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ولعله يضاجعها في آخر يومه». (متفق عليه) عن عبدالله بن زمعة. (صحيح) ٨١١١ في صحيح الجامع.

قال ﷺ: «**خيركم خيركم للنساء**». (الحاكم) عن ابن عباس. (صحيح) ٣٣١٦ في صحيح الجامع.

١٧/ أن يحترم شعور امرأته فلا ينام إلا في فراشها لما قال ﷺ: «**لا يبيتن رجل عند امرأة في بيت إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم**». (مسلم) عن جابر. (صحيح) ٧٥٩٩ في صحيح الجامع.

١٨/ ومن حقها أن يأذن لها إن استأذنته في الذهاب للمسجد لما قال ﷺ:

«**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها**». (متفق عليه) عن ابن عمر. (صحيح) ٣١٩ في صحيح الجامع.

١٩/ ومن حقها عليه أن يرحم ضعفها وأن يترفق بها لا نها كالقارورة وذلك لما قال ﷺ: «**يا أنجشة ! رويدك سوقك بالقوارير**». (متفق عليه) عن أنس. (صحيح) ٧٨٥٨ في صحيح الجامع.

وقال المؤمل كما في كتاب الموشى للوشا:

شكوتُ ما بي إلى هندٍ، فما اكترثَت ... يا قلبها! أحديدٌ أنت أم حجر
إن كُنتِ جاهلةً بالحبّ، فانطلقي ... إلى القبور، ففيمن حلّها عِبَرُ
لا تحسبيني غنياً عن مودتكم ... إني إليك وإن أيسرت مفتقر
إذا مرِضْنا أتيناكمْ نعودكمُ ... وتذنِبونَ فنأتيكمْ فنعتذرُ

٢٠/ من حقها عليه أن يصونها من دخول أخوانه عليها لما قال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**». (متفق عليه) عن عقبة بن عامر. (صحيح) ٢٦٧٧ في صحيح الجامع.

قال الشاعر:

لا يأمننّ على النّساء أخٌ أخاً ... ما في الرّجال على النّساء أمين

حق الزوج على زوجته

١/ الطاعة في طاعة الله تعالى وعدم المعصية لما قاله ﷺ: «**إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه وإن كان بعيرا فليأخذ بذروة سنامه**». (الحاكم) عن ابن عمرو. (حسن) ٣٦٠ في صحيح الجامع..

٢/ عدم صيام النافلة إلا بإذنه: لما قال ﷺ: «**لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه غير رمضان ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له**». (متفق عليه) عن أبي هريرة. انظر حديث رقم: ٧٣٥٢ في صحيح الجامع.

٣/ عدم التصرف في ماله إلا بإذنه لما قال ﷺ: «**لا تجوز لا مرأة هبة في مالها إلا بإذن زوجها إذا ملك زوجها عصمتها**». (حم ن هـ) عن ابن عمرو (هـ) عن كعب بن مالك. (صحيح) ٧٢٣٨ في صحيح الجامع..

٥/ الإحداد عليه إن مات. لما قال ﷺ: «**لا يحل لا مرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا**». (متفق عليه) عن أم حبيبة وزينب بنت جحش.

٦/ ولا تسأله طلاقا لما قال ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**». (أحمد وأبوداود) عن ثوبان. ٢٧٠٦ في صحيح الجامع.

٧/ وألا تخلع ثيابها في غير بيته لما قال ﷺ: «**أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل**». (أحمد وبن ماجه والحاكم) عن عائشة. ٢٧١٠ في صحيح الجامع.

٨/ ومن حق الزوج أن تحفظه الزوجة في غيابه لما قال ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا وأمة أو عبد أبق من سيده فمات وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم**». (البخاري في الأدب المفرد) عن فضالة بن عبيد. ٣٠٥٨ في صحيح الجامع.

٩/ ومن حقه أن لا تؤذيه لما قال ﷺ: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا**

قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا». (أحمد والترمذي) عن معاذ. (صحيح) ٧١٩٢ في صحيح الجامع

١٠/ فهم أدب الفراش لما رواه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين ميمونة قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض أمرها أن تأتزر ثم يباشرها**».

ولما قاله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» (متفق عليه) عن أبي هريرة.

ولما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها**».

١١/ ومن حقه عليها أن تحمد العشير لما قاله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**». (أحمد ومسلم) عن ابن عباس (والبخاري والترمذي) عن عمران بن حصين.

قال العتبي: «**قال رجل من ولد علي لا مرأته: أمرك بيدك ثم ندم فقالت أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه وصحبه فلن أضيعه إذا كان بيدي ساعة من نهار وقد رددته إليك فأعجب بذلك من قولها وأمسكها**».

وأراد رجل أن يتزوج امرأة فقال لها إني سيء الخلق فقالت أسوأ منك خلقًا من أحوجك أن تكون سيئًا قال: أنت امرأتي.

وقال الفضل بن إبراهيم: مر شاعر بنسوة فأعجبه شانهن فجعل يقول:

إن النساء شياطين خلقن لنا ... نعوذ بالله من شر الشياطين

قال فأجابته واحدة منهن وجعلت تقول:

إن النساء رياحين خلقن لكم ... وكلكم يشتهي شم الرياحين

آخر:

إنّ النّساء رياحينٌ خلقن لنا ... فكلّنا يشتهي شمّ الرّياحين

آخر:

ونحن بنو الدنيا وهن بناها ... وعيش بني الدنيا لقاء بناها

آخر:

ضربتني بكفّها ابنة معنٍ ... أوجعت كفّها وما أوجعتني

آخر:

إذا لم تكن في منزل المرء حرةٌ ... رأى خللاً فيما تدير الولائد

فلا يتّخذ منهنّ حرٌّ قعيدةً ... فهنّ لعمر الله بئس القعائد

آخر:

ليس لربّ البيت في بيته ... عيشٌ إذا ما فسد الأهل

آخر:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم ... وفيهنّ -لا تكذب -نساءٌ صوالح

وفيهنّ والأيام يعثرن بالفتى ... عوائد لا يمللنه ونوائح

آخر:

لا تنكحنّ عجوزاً إن دعوك لها ... وإن حبوك على تزويجها الذّهبا

وإن أتوك وقالوا: إنها نصفٌ ... فإن أفضل نصفيها الذي ذهبا

قال أنس بن مالك: كنت مع رسول الله في سفره في حجة الوداع، ومعه نساؤه، وكان له حادٍ يحدو بهن يقال له أَنْجَشةَ، فقال له رسول الله: «**يا أنجشة**

رفقًا! رويداً بالقوارير». يعني أنهن ضعاف يسرع إليهن الكسر، ولا يقبلن الجبر

وقال مصعب بن الزبير: المرأة فرش فاستوثروا.

وكان يقال: النساء لعب فتخيروا.

وقالوا: عقل المرأة في جمالها، وجمال الرجل في عقله.

ووصف رجل امرأة فقال:

كأن عينيها السقم لمن رآها وكلامها البرء لمن ناجاها

وقال علي بن العباس الرومي:

وحديثُها السِّحْرُ الحلالُ لو أنّه لم يَجْنِ قتلَ الْمُسْلِمِ المتحرِّزِ
وإن طال لُم يُمْلَلْ وإن هي أوْجَزتْ ودّ المحدِّث أنها لم تُوجزِ
شَرَكُ العقول ونُهْزَةٌ ما مِثْلُها للمطمئن وعُقلة المستوفز

١٢ / ألا تسأل طلاق ضرتها لما قاله ﷺ: «**لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها**». (صحيح البخاري) عن أبي هريرة.

١٣ ومن حقه عليها ألا تتكلم إلا بإذنه لما ورد عنه ﷺ: «**أنه نهى أن تكلم النساء إلا بإذن أزواجهن**». (الطبراني) عن عمرو. ٦٨١٣ في صحيح الجامع.

الأدب مع الأصحاب

قال أبو الحسين الوراق: سألت أبا عثمان عن الصحبة فقال: الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بملازمة العلم واتباع السنة والصحبة مع الأولياء بالاحترام والخدمة والصحبة مع الإخوان بالبشر والانبساط وترك الإنكار عليهم ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة

قال الله تعالى لنبيه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]

والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة ورؤية نعمة الله عليك حيث لم يجعلك مثلهم والدعاء لهم ليعافيهم الله من بلاء الجهل

الحاجة الملحة لاختيار الصاحب:

الواجب على المرء أن لا يغفل عن مؤاخاة الإخوان وإعداده إياهم للنوائب والحدثان لأن من تعزى عن موضع سلوة بأخيه عند الهموم والغموم كان عقله إلى التقديح أقرب ومن النماء أنقص.

وقال محمد بن عمران الضبي:

وما المرء إلا بإخوانه ... كما نقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة ... ولا خير في الساعد الأجذم

قال ابن حبان في روضة العقلاء: الواجب على العاقل أن لا يعد في الأدواء إخاء من لم يواته الضراء ولم يشاركه في السراء ورب أخي إخاء خير من أخي

ولادة، ومن أتم حفاظ الأخوة تفقد الرجل أمور من يوده.

والود الصحيح هو الذي لا يميل إلى نفع ولا يفسده منع والمودة أمن كما أن البغضاء خوف.

وقال ابن حبان: العاقل لا يصادق المتلون ولا يؤاخي المتقلب ولا يظهر من الوداد إلا مثل ما يضمر ولا يضمر إلا فوق ما يظهر ولا يكون في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها لأنه لا يحمد من الإخاء ما لم يكن كذلك.

قال الشاعر:

وليس أخي من ودني بلسانه ... ولكن أخي من ودني في النوائب
ومن مالُه مالِي إذا كنت معدِما ... ومالِي له إن عض دهر بغارب
فلا تحمدن عند الرخاء مؤاخيا ... فقد تُنكرُ الإخوانُ عند المصائب
وما هو إلا كيف أنت ومرحبا ... وبالبيض روَّاغ كروغ الثعالب

كيف يعرف المرء صحة الوداد من سقمه؟

من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه ملاحظة العين إذا لحظت فإنها لا تكاد تبدي إلا ما يضمر القلب من الود ولا يكاد يخفى ما يجنه الضمير من الصد فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ويجعل له بينهما مسلكا لا يرده عن معرفة صحته شيء تخيله.

قال الشاعر:

وما أحب إذا أحببت مكتتما ... يبدي العداوة أحيانا ويخفيها
تظل في قلبه البغضاء كامنة ... فالقلب يكتمها والعين تبديها
والنفس تعرف في عينيْ محدثها ... من كان من سِلمها أو من أعاديها.
عيناك قد دلتا عيني منك على ... أشياء لولاهما ما كنت أدريها

قال إبراهيم الحجنى: دلائل الحب تعرف في المحب وإن لم ينطق لسانه كيف نختار الأصحاب؟

روى سفيان بن عيينة عن عبد الملك قال: لما حضرت علقمة العطاري الوفاة دعا بابنه فقال يا بني إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فانظر من إن حدثته صانك وإن صحبته زانك وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى منك سيئة سدها وإذا سألت أعطاك وإن سكت ابتداك.

واللبيب لا يواخي إلا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأي ووافق سره علانيته لأن خير الإخوان من لم يناقش كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار والمستوخم لا يؤلف كما أن غير الثقه لا يود.

قال العباس بن عبيد بن يعيش:

كم من أخ لك لم يلده أبوكا ... وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخاءهم ... وأعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
كم إخوة لك لم يلدك أبوهم ... وكأنما آباءهم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة ... تخشى الحتوف بها لما خذلوكا
وأقارب لو أبصروك معلقا ... بنياط قلبك ثم ما نصروكا
الناس ما استغنيت كنت أخالهم ... وإذا افتقرت إليهم فضحوكا

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذكر صحبة رجل فقال:

لا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما المرء ماشاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه
وللقلب من القلب ... دليل حين بلقاه

وورد أن عليا ﷺ: (لما طعنه بن ملجم أوصى ولده الحسن بعدة وصايا منها قول(إياك وصحبة الفاجر فإنه يبيعك بالشيء التافه ،وإياك وصحبة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عنك القريب ،وإياك وصحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ،وإياك وصحبة البخيل فإنه يفر منك أحوج ماتكون إليه) حياة الصحابة.

ولأبي العتاهية: في كتاب (العقد الفريد ١ / ٢٠٥):

احْـــذَرِ الأحمـــقَ أن تَصْـــحَبَه ... إنمـــا الأحمـــقُ كـــالثَّوب الخَلَـــقْ
كلَّمـــا رَقَّعْتَـــه مِـــن جانـــبٍ ... زَعْزَعتْـــه الـــريحُ يومـــاَ فـــانخرق
أو كصـــدع في زُجـــاج فـــاحشٍ ... هل تَرَى صَدْع زُجـــاجٍ يَلْتصـــق
فـــإذا عاتبتَـــه كـــي يَرْعَـــوِي ... زادَ شـــرًّا وتمـــادى في الحُمـــق

لذا ينبغي للمرء أن يختار من يتوائم معه ويألفه كما روى الإمام البخاري في صحيحه برقم٣١٥٨عن عائشة ﷺ قالت: سمعت النبي يقول: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف**» ورواه مسلم من حديث أبي هريرة برقم٢٦٣٨

قصة الحديث:

في مسند أبي يعلى برقم٤٣٨١ عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: كان بمكة امرأة مزاحة فنزلت على امرأة مثلها فبلغ ذلك عائشة فقالت: صدق حبي سمعت رسول الله يقول: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

وعن مجاهد قال: رأى ابن عباس رجلا فقال إن هذا ليحبني قالوا وما علمك قال إني لا حبه والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد وأن الخيِّر من الناس يحن إلى شكله والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر فإذا اتفقت تعارفت وإذا اختلفت تناكرت [فتح بن حجر ٦ / ٣٦٩]

قال ابن الجوزي: ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم وكذلك القول في عكسه.

وقال المناوي في [فيض القدير١ / ٥٥٢]: والتعارف هو التشاكل المعنوي الموجب لا تحاد الذوق الذي يدرك ذوق صاحبه فذلك علة الائتلاف كما أن التناكر ضده ولذلك قال الشاعر:

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره ... وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد

قال الإمام الغزالي: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر حتى الطير ورأى بعضهم مرة غرابا مع حمامة فاستبعد المناسبة بينهما ثم تأمل فوجدهما أعرجين فإذا أردت أن تعرف من غابت عنك خلاله بموت أو غيبة أو عدم عشرة امتحن أخلاق صاحبه وجليسه بذلك وذلك يدل على كماله أو نقصه كما يدل الدخان على النار ولهذا قال الشاعر:

إذا أردت أن ترى فضيلة صاحب ... فانظر بعين البحث من ندماؤه

فالمرء مطوي على علاته ... طي الكتاب وتحته عنوانه

وإذا صاحب الرجل غير شكله لم تدم صحبته.

قال الأبناوي:

إن القلوب لا جناد مجندة ... لله في الأرض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

ولصحبة الآخرين آداب ينبغي أن يتأدب بها ومنها :

١/ **لزوم التقوى والحلم والجود والحياء**: لأنه أصل العقل وبذر الخير وتركه أصل الجهل وبذر الشر والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ومن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم قحته ولقد أحسن الذي يقول:

وليس بمنسوب إلى العلم والنهى ... فتى لا ترى فيه خلائق أربع
فواحدة تقوى الإله التي بها ... ينال جسيم الخير والفضل أجمع
وثانية صدق الحياء فإنه ... طباع عليه ذو المروءة يطبع
وثالثة حلم إذا الجهل أطلعت ... إليه خبايا من فجور تسرع
ورابعة جود بملك يمينه ... إذا نابه الحق الذي ليس يدفع

وأن يتحبب لا خوانه بلزوم حسن الخلق وترك سوء الخلق لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها.

قال البغدادي:

خالق الناس بخلق حسن ... لا تكن كلبا على الناس يهر
والقهم منك ببشر ثم صن ... عنهم عرضك عن كل قذر

قال «**ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا ؟ على كل هين لين قريب سهل**» (الترمذي والطبراني) عن ابن مسعود. (صحيح) ٢٦٠٩ في صحيح الجامع.

٢/ لزوم التواضع ومجانبة التكبر: ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لمكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره والتواضع تواضعان: أحدهما محمود والآخر مذموم:

التواضع المحمود ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم قال أحمد بن يحيى: كما في (أمالي القالي ١ / ١١٣):

تخالهم للحلم صماً عن الخنا ... وخرساً عن الفحشاء عند التهاتر
ومرضى إذا لا قوا حياءً وعفةً ... وعند الحروب كالليوث الخوادر
لهم ذل إنصاف ولين تواضع ... بهم ولهم ذلت رقاب المعاشر
كأن بهم وصماً يخافون عاره ... وما وصمهم إلا اتقاء المعاير

عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول(إذا تواضع العبد لله رفع الله حكمته وقال ارتفع نعشك الله فهو في نفسه حقير وفي أعين الناس أمير وإذا تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض وقال اخسأ أخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى أنه أحقر في أعينهم من الخنزير) [الأمالي المطلقة لا بن حجر ١ / ٨٨ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي] وقال هذا موقوف صحيح الإسناد وقد يقال لا مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع.

قال الكريزي:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا ... فكم تحتها قوم هم منك أرفع

والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه

فإن كنت في عز وخير ومنعة ... فكم مات من قوم هم منك أمنع

والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه.

قال الشاعر:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذاك مضر منك بالدين
وارغب إلى الله مما في خزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنون

أما ترى كل من ترجــو وتأملــه من الخلائق مسكين ابن مســكين

٣/ مجانبة الخصال التي تورثه استثقال الأخلاء إياه وملازمة الخصال التي تؤديه الى محبتهم إياه ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ويستجلب به محبتهم البذل لهم مما يملك المرء من حطام هذه الدنيا واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى فلو أن المرء صحبه طائفتان إحداهما تحبه والأخرى تبغضه فأحسن الى التي تبغضه وأساء الى التي تحبه ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما لكان أسرعهما الى خذلانه وأبعدها عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه لأن الكلب إذا شبع قوى وإذا قوي أمل وإذا أمل تبع المأمول وإذا جاع ضعف وإذا ضعف أيس وإذا أيس ولى عن المتبوع فمن عدم المال فليبسط وجهه للناس فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف إذ هو أحد طرفيه.

قال الراضي بالله:

ويا حريصاً على الأمــوال يجمعهــا نسيت أن ســرور المــال أحــزان
دع الفؤاد مــن الــدنيا وزخرفهــا فصفوها كدر والوصــل هجــران
وأوع سمعــك أمثــالاً أفصــلها كما يفصــل يــاقوتٌ ومرجــان
أحسن إلى الناس تســتعبد قلــوبهم فطالما اســتعبد الإنســان إحســان
وكن على الدهر معواناً لذي أمــلٍ يرجو نداك، فــإن الحــر معــوان
من جاد بالمال مال النــاس قاطبــةً إليــه والمــال للإنســان فتــان
من كان للخير مناعــاً فلــيس لــه عنــد الخليقــة أخــدانٌ وإخــوان

٥/ وأن يلزم المداراة مع أخلائه مداراة الرجل السابح في الماء الجاري ومن ذهب الى عشرة الناس من حيث هو كدر على نفسه عيشه ولم تصف له مودته لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون

مأثما فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة فكما يشق عليك ترك ما جبلت عليه فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله فليس الى صفو ودادهم سبيل إلا بمعاشرتهم من حيث هم والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات.

وقال غيره:

دار من الناس ملالاتهم ... من لم يدار الناس ملوه

ومكرم الناس حبيب لهم ... من أكرم الناس أحبوه

وعن ابن الحنفية قال ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يأتيه الله من بالفرج والمخرج ولا توجد السلامة لمن لا يداري ولذا قال محمد بن عبد الله البغدادي:

ياذا الذي أصبح لا والد ... له على الأرض ولا والدة

قد مات من قبلهما آدم ... فأي نفس بعده خالدة

إن جئت أرضا أهلها كلهم ... عور فغمض عينك الواحدة

وعن المدائني قال: قال معاوية لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت قيل وكيف قال لا نهم إن مدوها حليها وإن خلو مددتها

قال أبو حاتم: من لم يدار صديق السوء كما يداري صديق الصدق ليس بحازم وقال أبو الشمردل وقاص بن مجامع الكندي:

تجَنَّبْ خليلَ السُّوء واصرم حبالهُ ... فإنْ لم تجدْ عنه محيصاً فدارهِ

وصاف خليلَ الودّ واحذرْ مراءه ... ولا تكُ في كلِّ الأُمور تُمارهِ

وصادق إذا صادقت حراً أو امرءاً ... كريماً من الفتيان يرعى لجاره

ومن يطلب المعروف من غير أهله ... يجده وراء البحر أوْ في قرارهِ

ولله في عـــرض السَّـــموات جنَّـــةٌ ولكنَّهـــا محفوفـــةٌ بالمكـــارهِ

وقال آخر:

إذا شئت أن تحظى بوصلي وقـــربتي فجنب قريب السوء واصرم حبالـــه
وسابق إلى الخيرات واسلك ســـبيلها وحصل علوم الدين واعرف رجاله

قال الشاعر:

إذا كان ذواقـــاً أخـــوك مصـــارماً موجهةً مـــن كـــل أوبٍ ركائبـــه
فخل له ظهر الطريـــق ولا تكـــن مطيـــة رحـــال كـــثير مذاهبـــه

وقيل: دار عدوك لا حد أمرين: إما لصداقة تؤمنك، أو فرصة تمكنك.

وقال آخر:

أخوك الذي إن سرك الأمر ســـره وإن ناب أمر ظل وهـــو حـــزين
يقرب من قربت مـــن ذي مـــودة ويقصي الـــذي أقصـــيته ويهـــين

أراد الحسن الحج فطلب ثابت البناني أن يصاحبه فقال: ويحك دعنا نتعايش بستر الله.

وقال الحسين بن الضحاك:

وأحبب حبيب الصـــدق واحـــذر تنل منه صفو الود مـــا لم تمـــاره

قال أبو الدرداء لا م الدرداء إذا غضبت فرضيني وإذا غضبت رضيتك فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق.

وعن أبي السائب قال: قال على لا تعامل بالخديعة فإنها خلق اللئام وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة وساعده على كل حال وزل معه حيث زال.

٦/ استحباب إفشاء السلام وإظهار البشر والتبسم.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله «**إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب**».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأة بالسلام إذا لقيته وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه وأن توسع له في المجلس [أدب المجالسة١ / ٣١]

و إفشاء السلام يذهب المكتن من الشحناء وما في الخلد من البغضاء ويقطع الهجران ويصافي الإخوان.

والبادي بالسلام بين حسنتين إحداهما تفضيل الله عز وجل إياه على المسلم عليه بفضل درجه لتذكيره إياهم بالسلام وبين رد الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد.

قال زبيد اليامي: إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه وإن أحسن الناس عفوا من عفا بعد قدرة وإن أفضل الناس من وصل من قطعه وإن أبخل الناس من بخل بالسلام.

والبشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء لأن البشر يطفيء نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة وفيه تحصين من الباغي ومنجاة من الساعي ومن بش للناس وجها لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك والشاعر يقول:

فتى مثل صفو الماء أما لقاؤه ... فبشر وأما وعده فجميل
يسرك مفترا ويشرق وجهه ... إذا اعتل مذموم الفعال بخيل
عيي عن الفحشاء أما لسانه ... فعف وأما طرفه فكليل

وقال الكريزي:

لن تستتم جميلا أنت فاعله ... إلا وأنت طليق الوجه بهلول

ما أوسط الخير فابسط راحتيك به ... وكن كأنك دون الشر مغلول

٧/ أن يستميل قلوب الأخلاء إليه بالمزاح وترك التعبس.

والمزاح على ضربين فمزاح محمود ومزاح مذموم فأما المزاح المحمود فهو الذي لا يشوبه ما كره الله عز وجل ولا يكون بإثم ولا قطيعه رحم

وأما المزاح المذموم فالذي يثير العداوة ويذهب البهاء ويقطع الصداقه ويجريء الدنيء عليه ويحقد الشريف به قال الشاعر:

أكرم جليسك لا تمازح بالأذى ... إن المزاح ترى به الأضغان

كم من مزاح جذ حبل قرينه ... فتجذمت من أجله الأقران

قال أبو حاتم رحمه الله: المزاح في غير طاعة الله مسلبة للبهاء مقطعه للصداقة يورث الضغن وينبت الغل.

وإنما سمي المزاح مزاحا لأنه زاح عن الحق وكم من افتراق بين أخوين وهجران بين متآلفين كان أول ذلك المزاح السيئ.

قال أبو الأخفش الكناني لا بن له:

أبنيّ لا تك ما حييت مماريا ... ودع السفاهة إنها لا تنفع

لا تحملن ضغينة لقرابة ... إن الضغينة للقرابة تقطع

لا تحسبن الحلم منك مذلة ... إن الحليم هو الأعز الأمنع

وعلى المرء أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمؤاكلة والمشاربة.

ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها مشي القصد

وخفض الصوت وقلة الإعجاب ولزوم التواضع وترك الخلاف

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبرمهم لأن المرضع إذا كثر مصه ربما ضجرت أمه فتلقيه.

ولا ينبغي لمن قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج اليه ليجبر به مصيبته أو يفرج به كربته والعاقل وليعلم أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس كما روى بن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث بن عمر «**أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولا ن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل**» (طب) (حسن) ١٧٦ في صحيح الجامع.

وعلى المرء أن لا يؤاخي لئيما لأن اللئيم كالحية الصماء لا يوجد عندها إلا اللدغ والسم فاللئيم لا يصل ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة والكريم يود الكريم على لقية واحدة ولو لم يلتقيا بعدها أبدا

٨/ **مجانبة الحقد ولزوم الصلح والعفو عن الإخوان**: قال هلال بن العلاء: جعلت على نفسي أن لا أكافئ أحدا بسوء ولا عقوق وذهب إلى هذه الأبيات

لما عفوت ولم أحقد علـى أحـد ... أرحت نفسي من هم العـداوات

إني أحيي عـدوى عنـد رؤيتـه ... لا دفع الشـر عـنى بالتحيـات

وأظهر البشـر للإنسـان أبغضـه ... كأنه قـد مـلأ قلـبي محبـات

وقال عبيد المدائني:

ومن لم يغمض عينه عن صـديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتبـــع جاهـــدا كـــل عثـــرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

قصة حقد العالم على صاحبه

٩/ ومن الآداب حفظ أسرار الإخوان

عن النبي قال «**استعينوا على حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود**» (صحيح الجامع ٩٤٣).

ولذلك قال بعض الحكماء: قلوب الأحرار قبور الأسرار.

و عن أبي علي الحكيم يقول سمعت أبي يقول: أفشى رجل إلى صديق له سرا من أسراره فلما فرغ قال حفظته قال لا بل نسيته.

قال الشاعر:

ليس الكريم الذي إن زل صـــاحبه بث الذي كان من أسراره علمـــا

إن الكريم الـــذي تبقـــى مودتـــه ويحفظ السر إن صافا وإن صـــرما

١٠/ ومن آدابها المشورة مع الإخوان وقبول ما يشيرون به عليه قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١١/ ومن آدابها القيام بأعذار الإخوان والأصحاب والذب عنهم والانتصار لهم [آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ١/ ٧٥]

قيل للجنيد: ما بال أصحابك يأكلون كثيرا؟

قال: لا نهم لا يشربون الخمر فيكون جوعهم أكثر.

وقيل له فما بالهم بهم قوة شهوة؟

قال لا نهم لا يزنون ولا يدخلون تحت محظور.

فقيل له فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن؟

قال: ما في القرآن ما يوجب الطرب وكلام الحق نزل بأمر ونهى ووعد ووعيد فهو يقهر.

قيل له فما بالهم لا يطربون عند القصائد؟

قال: لأنه مما عملت أيديهم.

قيل له فما بالهم لا يطربون عند الرباعيات؟

قال: لأنه كلام العشاق والمجانين.

قيل فما بالهم محرومين من الناس؟

قال: أنا لا أقول في هذا شيئا ولكن قال أستاذنا محمد القصاب حين سئل عن ذلك فقال لثلاث خلال: **إحداها** أن الله لا يرضى ما لهؤلاء لهؤلاء.

والثانية لا يرضى أن يجعل حسناتهم فى صحائف هؤلاء.

والثالثة إنهم قوم لا ينوبون إلا إلى الله فمنعهم عن كل شيء سواه وأفردهم له.

١٢/ ومن آدابها أن لا يحتجب عن إخوانه ولا يحجبهم عن نفسه كذلك:

قال ابن أبي داود:

لا تتركني بباب الـــدار مطروحـــا فالحر ليس عن الإخوان يحتجـــب

هبني أتيت بلا معـــنى ولا ســـبب ألست أنت إلى معروفك الســـبب

١٣/ ومن آدابها الرغبة في زيارة الإخوان والسؤال عن أحوالهم فإنه

روى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال إن رجلا زار أخا له في قريته فأرسل الله عز وجل على مدرجته ملكا فقال له إلى أين يا عبد الله قال أزور

أخا لي في هذه القرية فقال طبت وطاب ممشاك.(أحمد ومسلم).

عن عبد الله بن مسعود قال كنا إذا فقدنا الأخ أتيناه فإن كان مريضا كان عيادة وإن كان مشغولا كان عونا وإذا كان غير ذلك كان زيارة.

قال الشاعر:

نزوركم لا نكافئكم بجفوتكم ... إن المحب إذا لم يستزر زارا
يقربُ الشوقُ دارا وهي نازحة ... من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

١٤/ ومن آدابها أن لا يتغبر لا خوانه بأن يحدث له ثروة أو غنى

قال المبرد:

إن كانت الدنيا أنالتك ثروة ... وأصبحت فيها بعد عسر ياسر
فقد كشف الإثراء عنك خلائقا ... من اللوم كانت تحت ثوب من

قال ابن الأنباري في ضده:

وإن عبيد الله لما حوى الغنى ... وصار له من بين إخوانه مال
رأى خلة منهم تسد بماله ... فشاطرهم حتى استوت بهم الحال

وقال آخر:

تراني مقبلا فتصد عني ... وتزعم أنني أبغي رضاك
فسوف يغنيني الذي أغناك عني ... فلا فقري يدوم ولا غناكا

١٥/ ومن آدابها أن لا تغرق في الخصومة وتترك للصفح موضعا فإنه

روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما).. (صحيح) انظر حديث رقم: ١٧٨ في صحيح الجامع.

١٦/ حفظ العهد: ومنها ملازمة الأخوة، والمداومة عليها، وترك الملل؛

فقد قال النبي: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**». (صحيح البخاري برقم ٦٠٩٩ ومسلم برقم٢٨١٨) عن عائشة.

وقال محمد بن واسع: «**وليس لملولٍ صديقٌ ولا لحاسدٍ غناءٌ**». وورد أن عجوزا جاءت النبي (فأكرمه وقال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان "أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة؛(وقال ا لا لباني حديث حسن كما في صحيح الجامع برقم ٢٠٥٦).

وإن وقعت بينهم وحشةٌ أو نفرة، فلا يترك كرم العهد، ولا يفشي الأسرار المعلومة في أيام الأخوة.

قال الشاعر:

نَصِلُ الصَديقَ إِذا أَرادَ وِصالَنا ... وَنَصُدُّ عِندَ صُدودِهِ أَحيانا
إِن صَدَّ عَنّي كُنتُ أَكرَمَ مُعرِضٍ ... وَوَجَدتُ عَنهُ مَذهَباً وَمَكانا
لا مُفشياً بَعدَ القَطيعَةِ سِرَّهُ ... بَل كاتِمٌ مِن ذاكَ ما اِستَرعانا
إِن الكَريمَ إِذا تَقَطَّعَ وُدُّهُ ... كَتَمَ القَبيحَ وَأَظهَرَ الإِحسانا

١٧/ زيارة الإخوان: ومنها ألا ينسيك بعد الدار كرم العهد والنزوع إلى زيارة الإخوان. قال ابن الأنباري: «من كرم الرجل حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه).

فالزيارة لها كبير الأثر في حياة الأصحاب حيث إنها تقوي العلاقات وتزيد في الإلف والترابط ولما كانت الزيارة بهذه المكانة كان جديرا بالزائر أن يلتزم بآدابها.وآدابها كثيرة منها:

١/ استحضار النية لا نها عبادة وفي السنة من قوله «**إنما الأعمال بالنيات**».

٢/ وبما أنها عبادة ينبغي أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لا يريد بها عرضا من الدنيا والله تعالى يقول ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤].

٣/ الإقتصاد في الزيارة حتى لا يمله صاحبه لقوله «**زر غبا تزدد حبا**».

(البزار طس هب) عن أبي هريرة وصححه الألباني رقم: ٣٥٦٨ في صحيح الجامع.

أي زر أخاك وقتا بعد وقت ولا تلازم زيارته كل يوم تزدد عنده حبا وبقدر الملازمة تهون عليه وانتصب غبا على الظرف وحبا على التمييز.

قال بعضهم: فالإكثار من الزيارة ممل والإقلال منها مخل ونظم البعض هذا المعنى فقال:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت الغيث يُسأم دائما ... ويُسأل بالأيدي إذا كان ممسكا

وقال آخر:

أقلل زيارتك الصديق ... تكون كالثوب استجده
وأمل شيء لا مرىء ... أن لا يزال يراك عنده

٤/ اختيار الوقت المناسب للزيارة إن زار بلا إذن بحيث يتجنب أوقات بدو العورات﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [النور/ ٥٨].

أما إن كانت الزيارة بإذن وميعاد فعليه أن يلتزم بالموعد ولا يتخلف

٥/ إذا ذهب زائرا وجب عليه أن يلتزم بأدب الإستئذان والتي منها:

ا/ يدق الباب برفق. ويكرر الدق ثلاث مرات. ويفصل بين المرة والمرة. ولا يستقبل الباب ولكن عن يمينه أو شماله كما كان يفعل الرسول «**كان إذا أتى**

باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم السلام عليكم». (أحمد وأبو داود) عن عبدالله بن بسر. وصححه الألباني برقم: ٤٦٣٨ في صحيح الجامع.

فإذا لم يؤذن له فليرجع أزكى له كما قال تعالى ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴿٢٨﴾﴾ [النور/ ٢٨].

وفي الصحيحين «**إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع**» (البخاري ٥٨٩١ ومسلم ٢١٥٣) عن أبي موسى وأبي سعيد معا

وإذا رجع فليلتمس لأخيه عذرا إذا لم يعتذر وإذا اعتذر فعليه أن يقبل عذره صدق أو كذب والشاعر يقول:

اقبَلْ مَعاذيرَ مَن يَأتيكَ مُعتَذِراً ... إن يَروِ عِندَكَ فيما قالَ أَو فَجَرا
فَقَد أَطاعَكَ مَن أَرضاكَ ظاهِرُهُ ... وَقَد أَجَلَّكَ مَن يَعصيكَ مُستَتِرا

قال عبد الله بن المبارك: (المؤمن طالب عذر إخوانه، والمنافق طالب عثراتهم).

وإذا قال صاحبه من بالباب فلا يقل أنا للنهي عن هذا كما في الصحيحين (صحيح البخاري برقم ٥٨٩٦ عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابرا ﷺ يقول: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال (من ذا). فقلت أنا فقال (أنا أنا). كأنه كرهها) وأخرجه مسلم في الآداب باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا رقم ٢١٥٥

٦/ أن يغض بصره عند الدخول تفاديا من كشف العورات فلا يلحظ بعينه عند الغفلا ت لأن الله قال ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴿١٩﴾﴾ [غافر/ ١٩].

قال ابن عباس في قوله: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴿١٩﴾﴾ وهو

الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غَضّ، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض [بصره عنها] وقد اطلع الله من قلبه أنه وَدّ أن لو اطلع على فرجها. رواه ابن أبي حاتم.(نقلا عن ابن كثير ٧/ ٣٧).

٧/ أن يجلس حيث يجلسه صاحبه لأن صاحب الدار أعلم بعورات بيته

٨/ أن يخفض من صوته إذا تكلم.

٩/ أن يحفظ سر البيت الذي جلس فيه فلا يتكلم بما حدث ولا يتسمع ما لا يؤذن له في سماعه.

١٠/ وألا يصطحب معه أحد إلا بإذن صاحبه لا ولد ولا زوجة.

١١/ وأن يحفظ متاع البيت من عبث أولاده إذا صحبهم معه

بعد إذن صاحبه.

١٢/ وأن يداري صاحبه إذا رأى مالا يسره من أمور مما يحدث غالبا بين الزوجين ولا يخبب امرأته عليه لقوله «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده**». (د ك) عن أبي هريرة. صححه الألباني برقم: ٥٤٣٧ في صحيح الجامع.

١٣/ لا يؤم صاحبه في بيته إلا بإذنه كما قال «**من زار قوما فلا يؤمهم وليؤمهم رجل منهم**». (أحمد وأبو داود والترمذي) عن مالك بن الحويرث. وصححه الألباني برقم: ٦٢٧١ في صحيح الجامع.

١٤/ لا يطيل الزيارة.

١٥/ النصيحة بلوازمها إن رأى في البيت منكرا.

١٦/ عدم الإنصراف إلا بإذن صاحبه لقوله «**إذا زار أحدكم أخاه فجلس**

عنده فلا يقومن حتى يستأذنه» (الديلمي في مسند الفردوس) عن ابن عمر. وصححه الألباني برقم ٥٨٣ في صحيح الجامع.

١٧/ أن يشكر صاحبه على حسن استضافته وأن يدعوا ل بالخير

لحديث «**من أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له**».

(الطبراني) عن الحكم بن عمير. وصححه الألباني برقم: ٥٩٣٧ في صحيح الجامع.

١٨/ وإذا لم يوفق للزيارة فلا يحرم الصلة بالكتابة كالمراسلات وإن راسله أخوه فمن الأدب معه أن ترد الجواب عن كتابه لك. قال ابن عباس، رضي الله عنه: «**إني أرى لرد الجواب حقًا، كما أرى لرد جواب السلام**».

وأنشد لأبي هفان:

إِذا الإِخـــوانُ فـــاتَهُمُ التَلاقـــي ... فَما شَيءٌ أَسَـــرُّ مِـــنَ الكِتـــابِ

وَإِن كَتَبَ الصَـــديقُ إِلى صَـــديقٍ ... فَحَـــقٌّ كِتابِـــهِ رَدُّ الجَـــوابِ

الأدب مع الجـــار

قال ﷺ: «**استعيذوا بالله من شر جار المقام فإن جار المسافر إذا شاء أن يزايل زايل**».(صححه الألباني برقم ٩٤٠ في الجامع الصغير.

معنى الحديث:

قوله: (المقام) بالضم أي الإقامة فإنه ضرر دائم وأذى ملازم ووجهه بقوله (يزايل) أي أن يفارق جاره ويتحول من جواره فارقه فيستريح منه.وشمل جار المقام الحليلة والخادم والصديق الملازم.

وفيه إيماء إلى أنه ينبغي تجنب جار السوء والتباعد عنه بالانتقال عنه إن وجد لذلك سبيلا بمفارقة الزوجة وبيع الخادم وأن المسافر إذا وجد من أحد من رفقته ما يذم شرعا فارقه. (الحاكم في الدعاء عن أبي هريرة)

من كتاب أعيان العصر للصفدي:

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله،: بلغني عن فاطمة بنت الخشاب وقد سكنت قريباً مني أنها تجيد النظم، فكتبت إليها لأمتحنها في شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة:

هل ينفع المشتاق قرب الدار ... والوصل ممتنع على الزوار
يا نازلين بمهجتي وديارهم ... من ناظري بمطمح الأبصار
هيجتم شجني فعدت إلى الصبا ... من بعد ما وخط المشيب عذاري
أني اهتديت، وليلتي مسودة ... وضللت حين أضاء ضوء نهاري
عهدي بأني لا أخاف من الردى ... فحذار من لحظ العيون حذار

لا أرهب الليث الهزبر مجاوراً ... داري، وأرهب من جوار جوار
الصائبات بلحظهن مقاتلي ... هل للسهام لدي من أوتار
يا جيرتي الأدنين حقي واجب ... إن كنتم ترعون حق الجار
ليلي بكم أدب الزمان مقسم ... ما بين تسهيد إلى أفكار
يا جيرةً جار الزمان ببعدهم ... وهم بأقرب منزل وجوار
إني سمعت صفاتكم فسكرت من ... طربي بغير مدامة وحمار
وهويت بالأخبار حسنكم كما ... تهوى الجنان بطيب الأخبار
يا معرضين وما جنيت إليهم ذنباً ... سوى وجدي وقرب ديار
ميلوا إلي فللغصون تمايل ... حتى تقبل أوجه الأنهار
وتلفتوا نحوي التفات أوانس ... إن الأوانس غير ذات نفار
واجلوا محاسنكم لأحظى بالذي ... قد كنت أسمعه من الأخبار
لا تحسبوا أن السفور نقيصةً ... أو ما ترون مطالع الأقمار
أو تحسبوا أني أضيع سركم ... وأنا المعد لمودع الأسرار
أيجوز أن أظمأ وورد نداكم ... صفو من الأقذاء والأكدار
وأموت من دائي وفي أيديكم ... طبي من الأسقام والأخطار
ولقد عرفتم في الأنام بمنطق ... عذب المذاقة طيب المشتار
فحويتم حسن الصفات مؤيداً ... بمحاسن الأقوال والآثار
بمحاسن تهب العقول بلاغة ... وبلاغة تذر المفوه عاري
أخرستم الفصحاء إذ أنطقتم ... من لا يجيز القول بالأشعار
فبعثت من نظمي قلادة أدمع ... نثرت لا ليها بلا استعبار
نفثات مصدور الفؤاد متيم ... عجزت موارده عن الإصدار

قال: فكتبت الجواب إلي:

إن كان غركم جمال إزاري ... فالقبح في تلك المحاسن واري
لا تحسبوا أني أماثل شعركم ... أنى تقاس جداول ببحار
لو عاصر الكندي عصركم رمى ... لكم عوالي راية الأشعار

أقصى اجتهادي فهم ظاهر نظمكم ... لا أنني أدعى دعاء مجار
من قصرت عنه الفحول فحقه ... أن ليس يبلغه لحاق جواري
ولربما استحسنت غير حقيقة ... فإذا سفرت أشحت بالأبصار
لست الطموح إلى الصبا من بعدما ... وضح المشيب بلمتي كنهاري

قلت: هذا الشعر كثير من امرأة في مثل هذا الزمان، ولعلها أشعر من ذكران كثيرين في عصرنا، وممن تقدمنا أيضًا، وما أحسن ما استعملت لفظ جواري هنا في القافية.

وفي الإحاطة بأخبار غرناطة:

فقد يشفع الجار الكريم لجاره ... ويشمل بالمعروف أهل نديه
وإني بفضل الله أوثق واثق ... وحسبي وإن أذنبت حب نبيه

وذكر السيوطي في كتاب الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار:

يا صاحب البغي إنّ البغيَ مصرعةٌ ... أبشر فخيرُ سبيل المرء أعدلُه
فلو بغى جبل يوماً على جبل ... لا ندكّ منه أعاليه وأسفلُه

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي:

لئن كانَ للأموال فخرٌ على الثرى ... فللفَقر فخرٌ في الثريا معلّق
وإن أنفق المُثْري أُلوفاً عديدةً ... فدرهمُ أهلِ الفقرِ يا صاحِ يشرقُ

وقال أيضًا:

روينا حديثاً بالأسانيد مثبتاً ... وفي النسئي يلقاه من يتصفَّحُ
على مائةٍ مع مثلها ألفُ مرة ... لصاحب دُنيا درهمُ الفقرِ يرجحُ
إذا جاء ذا من درهمين بواحدٍ ... ومن عَرْضِ مالٍ ذاك في تلك يسمحُ

مسألة في أدب الضيافة:

روى البخاري برقم ٢٣٢٩ من حديث عقبة بن عامر (قال: قلنا للنبي ﷺ إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا فما ترى فيه؟ فقال لنا (إن نزلتم بقوم فأمر لكم بماينبغي للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف) وأخرجه مسلم في اللقطة باب الضيافة ونحوها رقم ١٧٢٧

وظاهر هذا الحديث أن قرى الضيف واجب وأن المنزول عليه لو أمتنع من الضيافة أخذت منه قهرا وقال به الليث مطلقا.

وخصه أحمد بأهل البوادي دون القرى.

وقال الجمهور الضيافة سنة مؤكدة وأجابوا عن حديث الباب بأجوبة

أحدها: حمله على المضطرين ثم اختلفوا هل يلزم المضطر العوض أم لا وقد تقدم بيانه في أواخر أبواب اللقطة وأشار الترمذي إلى أنه محمول على من طلب الشراء محتاجا فامتنع صاحب الطعام فله أن يأخذه منه كرها قال وروى نحو ذلك في بعض الحديث مفسرا

ثانيها: أن ذلك كان في أول الإسلام وكانت المواساة واجبة فلما فتحت الفتوح نسخ ذلك ويدل على نسخه قوله في حديث أبي شريح عند مسلم في حق الضيف وجائزته يوم وليلة والجائزة تفضل لا واجبة وهذا ضعيف لا حتمال أن يراد بالتفضل تمام اليوم والليلة لا أصل الضيافة.

وفي حديث المقدام بن معد يكرب مرفوعا أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعة وما له أخرجه أبو داود وهو محمول على ما إذا لم يظفر منه بشيء.

ثالثها: أنه مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الصدقات من جهة الإمام

فكان على المبعوث إليهم انزالهم في مقابلة عملهم الذي يتولونه لأنه لا قيام لهم بذلك حكاه الخطابي قال وكان هذا في ذلك الزمان إذ لم يكن للمسلمين بيت مال فأما اليوم فأرزاق العمال من بيت المال قال وإلى نحو هذا ذهب أبو يوسف في الضيافة على أهل نجران خاصة قال ويدل له قوله انك بعثتنا وتعقب بأن في رواية الترمذي أنا نمر بقوم.

رابعها: أنه خاص بأهل الذمة وقد شرط عمر حين ضرب الجزية على نصارى الشام ضيافة من نزل بهم وتعقب بأنه تخصيص يحتاج إلى دليل خاص ولا حجة لذلك فيما صنعه عمر لأنه متأخر عن زمان سؤال عقبة أشار إلى ذلك النووي.

خامسها: تأويل المأخوذ فحكى المازري عن الشيخ أبي الحسن من المالكية أن المراد أن لكم أن تأخذوا من أعراضهم بألسنتكم وتذكروا للناس عيبهم وتعقبه المازري بأن الأخذ من العرض وذكر العيب ندب في الشرع إلى تركه لا إلى فعله والراجح الأول واستدل به على مسألة الظفر وبها قال الشافعي فجزم بجواز الأخذ فيما إذا لم يمكن تحصيل الحق بالقاضي كأن يكون غريمه منكرا ولا بينة له عند وجود الجنس فيجوز عنده أخذه إن ظفر به وأخذ غيره بقدره إن لم يجده ويجتهد في التقويم ولا يحيف.

الرضاع آداب وأحكام

س١/ عرف الرضاع؟ وما دليل مشروعيّة الرّضاع؟ وما حكم الإرضاع مدعما بالدليل؟

أ/ **تّعريف الرّضاع** - بكسر الرّاء وفتحها - **في اللّغة**: مصدر رضع أمّه يرضعها بالكسر والفتح رضعـًا ورضاعـًا ورضاعةً أي امتصّ ثديها أو ضرعها وشرب لبنه.

وأرضعت ولدها فهي مرضع ومرضعة، وهو رضيع.

والرّضاع في الشّرع: اسم لوصول لبن امرأةٍ أو ما حصل من لبنها في جوف طفلٍ بشروطٍ تأتي.

ب/ **الأصل في مشروعيّته** قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

ج/ لا خلاف بين الفقهاء في أنّه يجب إرضاع الطّفل ما دام في حاجةٍ إليه، وفي سنّ الرّضاع. واختلف الفقهاء فيمن يجب عليه الإرضاع.

فقال الشّافعيّة والحنابلة: يجب على الأب استرضاع ولده، ولا يجب على الأمّ الإرضاع، وليس للزّوج إجبارها عليه،، إلاّ إذا تعيّنت بأن لم يجد الأب من ترضع له غيرها، أو لم يقبل الطّفل ثدي غيرها، أو لم يكن للأب ولا للطّفل مال، فيجب عليها حينئذٍ، ويجب على الأمّ إرضاع الطّفل اللّبأ وإن وجد غيرها، واللّبأ ما ينزل بعد الولادة من اللّبن، لأن الطّفل لا يستغني عنه غالبـًا، ويرجع في معرفة مدّة بقائه لا هل الخبرة.

وقال الحنفيّة: يجب على الأمّ ديانةً لا قضاءً.

واستدلّ الجمهور على وجوب الاسترضاع على الأب بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾ محمول على حال الاتّفاق وعدم التّعاسر.

وقال المالكيّة: يجب الرّضاع على الأمّ بلا أجرةٍ إن كانت ممّن يرضع مثلها، وكانت في عصمة الأب، ولو حكمـًا كالرّجعيّة، أمّا البائن من الأب، والشّريفة الّتي لا يرضع مثلها فلا يجب عليها الرّضاع، إلاّ إذا تعيّنت الأمّ لذلك بأن لم يوجد غيرها. واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾.

س٢/مالحكم إن أراد الوالد أن يرضع ولده من أجنبية وأرادت الأم ولدها؟

إن رغبت الأمّ في إرضاع ولدها أجيبت وجوبـًا. سواء أكانت مطلّقةً، أم في عصمة الأب على قول جمهور الفقهاء، لقوله تعالى: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾. والمنع من إرضاع ولدها مضارّة لها، ولا نّها أحنى على الولد وأشفق، ولبنها أمرأ وأنسب له غالبـًا. بشرط ألا تطلب أكثر من الأجنبية.

فإن طلبت الأمّ أكثر من أجرة المثل ووجد الأب من ترضع له مجّانـًا أو بأجرة المثل جاز له انتزاعه منها، لا نّها أسقطت حقّها بطلبها ما ليس لها، فدخلت في عموم قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

وإن لم يجد الأب من ترضع له بأقلّ ممّا طلبته الأمّ لم يسقط حقّها في الرّضاع، لا نّها تساوت مع غيرها في الأجرة فصارت أحقّ بها، كما لو طلبت كلّ واحدةٍ منهما أجرة المثل.

س٣/ بين ما يترتب على الرّضاع؟

يترتّب على الرّضاع بعض أحكام النّسب: كتحريم النّكاح سواء حصل الرّضاع في زمن إسلام المرأة أو كفرها، لقوله: «**يحرم من الرّضاعة ما يحرم من النّسب**».وثبوت المحرميّة المفيدة لجواز النّظر، والخلوة

أمّا سائر أحكام النّسب كالميراث، والنّفقة، والعتق بالملك، وسقوط القصاص، وعدم القطع في سرقة المال، وعدم الحبس لدين الولد، والولاية على المال أو النّفس فلا تثبت بالرّضاع، وهذا محلّ اتّفاقٍ بين الفقهاء.

س٤/ ماهي أركان الرضاع؟ وماهي شروط كل ركن؟

❁ **للرّضاع المحرّم ثلاثة أركانٍ(المرضع - الرّضيع - اللّبن):**

✍ **أوّلاً: المرضع:**

يشترط في المرضع الّتي ينتشر بلبنها التّحريم:

١ - أن تكون امرأةً، فلا يثبت التّحريم بلبن الرّجل لندرته وعدم صلاحيّته غذاءً للطّفل، ولا بلبن البهيمة، فلو ارتضع طفلا ن من بهيمةٍ لم يصيرا أخوين، لأن تحريم الأخوّة فرع على تحريم الأمومة، ولا يثبت تحريم الأمومة بهذا الرّضاع فالأخوّة أولى.

٢ - اشترط الحنفيّة والشّافعيّة أن تكون محتملةً للولادة بأن تبلغ سنّ الحيض وهو تسع سنين، فلو ظهر لبن الصّغيرة دون تسع سنين فلا يحرم، بخلاف من بلغت هذه السّنّ، لأنه وإن لم يتيقّن بلوغها بالحيض فاحتمال البلوغ قائم، والرّضاع تلو النّسب فاكتفي فيه بالاحتمال،

ولا يشترط المالكيّة ذلك فيحرم عندهم لبن الصّغيرة الّتي لا تحتمل الوطء.

س٥/ هل يثبت التّحريم بلبن المرأة الميّتة؟

ذهب الجمهور إلى التّحريم بلبن المرأة الميّتة كما يحرم لبن الحيّة، لأنه وجد الارتضاع على وجهٍ ينبت اللّحم وينشز العظم من امرأةٍ فأثبت التّحريم كما لو كانت حيّةً، ولا نّه لا فارق بين شرب لبنها في حياتها، وشربه بعد موتها، إلاّ الحياة ولا نّ اللّبن لا يموت، ولا نّه لو حلب منها في حياتها فشربه بعد موتها تنتشر الحرمة بالاتّفاق

وقال الشّافعيّة: يشترط أن تكون المرضع حيّةً حياةً مستقرّةً عند انفصال اللّبن منها، فلا تثبت الحرمة بلبنٍ انفصل عن ميّتةٍ كما لا تثبت المصاهرة بوطئها، وإن انفصل اللّبن في حياتها فشربه الطّفل بعد موتها حرّم بالاتّفاق.

س٦/ هل يشترط تقدّم الحمل على الرّضاع حتى يثبت التحريم؟

ذهب الجمهور وهو رواية عند الحنابلة إلى أنّه لا يشترط لثبوت التّحريم بلبن المرأة أن يتقدّم حمل.

فيحرّم لبن البكر الّتي لم توطأ ولم تحبل قطّ، لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ ولا نّه لبن امرأةٍ فتعلّق به التّحريم.

وفي رواية ثانية عن أحمد وعليه مذهب الحنابلة أنّ لبن البكر لا ينشر التّحريم، لأنه نادر لم تجر العادة به للتّغذية.

الركن الثاني: الرّضيع:

يشترط للرضيع شروط هي:

١/ أن يصل اللّبن إلى المعدة يشترط أن يصل اللّبن إلى المعدة بارتضاعٍ أو إيجارٍ أو إسعاطٍ وإن كان الطّفل نائمًا، لأن المؤثّر في التّحريم هو حصول الغذاء باللّبن وإنبات اللّحم وإنشاز العظم وسدّ المجاعة لتتحقّق الجزئيّة، ولا يحصل

ذلك إلاّ بما وصل إلى المعدة.

أمّا الإقطار في الأذن أو الإحليل، أو الحقنة في الدّبر فلا يثبت به التّحريم.

٢/ ألاّ يبلغ الرّضيع حولين» لا خلاف بين الفقهاء في أنّ ارتضاع الطّفل وهو دون الحولين يؤثّر في التّحريم.

فقال الشّافعيّة والحنابلة وأبو يوسف ومحمّد وهو الأصحّ المفتى به عند الحنفيّة: إنّ مدّة الرّضاع المؤثّر في التّحريم حولان، فلا يحرّم بعد حولين.

واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، وقالوا: جعل اللّه الحولين الكاملين تمام الرّضاعة، وليس وراء تمام الرّضاعة شيء.

وقال عزّ من قائل: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ وأقلّ الحمل ستّة أشهرٍ فتبقى مدّة الفصال حولين،

ولحديث أمّ سلمة عند الترمذي مرفوعاً: «**لا يحرّم من الرّضاع إلاّ ما فتق الأمعاء في الثّدي وكان قبل الفطام**» صححه الألباني برقم ٧٦٣٣ صحيح الجامع

ولقوله «**لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء**» (هـ) عن الزبير. (صححه الألباني٧٤٩٥ في صحيح الجامع).

س٧/ هل يحرم رضاع الكبير؟

قال ابن تيميّة: وقد ذهب طائفة من السّلف والخلف إلى أنّ إرضاع الكبير يحرّم.

واحتجّوا بما في صحيح مسلمٍ وغيره عن زينب بنت أمّ سلمة أنّ أمّ سلمة قالت لعائشة: إنّه يدخل عليك الغلام الأيفع الّذي ما أحبّ أن يدخل عليّ. فقالت عائشة: أما لك في رسول اللّه أسوة حسنة؟.

قالت: إنّ امرأة أبي حذيفة قالت يا رسول اللّه: إنّ سالماً يدخل عليّ وهو رجل، وفي نفس أبي حذيفة منه شيء فقال رسول اللّه:«**أرضعيه حتّى يدخل عليك**» مسلم ١٤٥٣

وفي روايةٍ لمالكٍ في الموطّأ برواية يحيى الليثي برقم ١٢٥٦ قال: «**أرضعيه خمس رضعاتٍ**» فكان بمنزلة ولده من الرّضاعة.

وهذا الحديث أخذت به عائشة، وأبى غيرها من أزواج النّبيّ (أن يأخذن به، مع أنّ عائشة روت عنه قال: «**الرّضاعة من المجاعة**» صحيح الجامع برقم ١٥٠٦.

لكنّها رأت الفرق بين أن يقصد رضاعةً أو تغذيةً.

فمتى كان المقصود التغذية لم يحرّم الرضاع إلاّ ما كان قبل الفطام، وهذا هو إرضاع عامّة النّاس.

وأمّا الأوّل فيجوز إن احتيج إلى جعله ذا محرمٍ.

وقد يجوز للحاجة ما لا يجوز لغيرها، وهذا قول متوجّه.

وقال: رضاع الكبير تنتشر به الحرمة في حقّ الدّخول والخلوة إذا كان قد تربّى في البيت بحيث لا يحتشمون منه للحاجة، وهو مذهب عائشة وعطاءٍ واللّيث.

الركن الثالث: اللّبن:

يشترط أن يصل اللّبن إلى جوف الطّفل بمصٍّ من الثّدي، أو إيجارٍ من الحلق، أو إسعاطٍ من الأنف، سواء كان اللّبن صرفاً أو مشوباً بمائعٍ لم يغلب على اللّبن، بأن كان اللّبن غالباً، بأن كانت صفاته باقيةً. ولا فرق بين أن يكون المخالط نجساً كالخمر وأن يكون طاهراً كالماء ولبن الشّاة.

س٨/ ما الحكم لوكان اللّبن مغلوباً فقد اختلف الفقهاء في ثبوت التّحريم به؟

ذهب الحنفيّة والمالكيّة إلى أنّ اللّبن المغلوب لا يؤثّر في التّحريم، لأن الحكم للأغلب، ولا نّ اسم اللّبن يزول بغلبة غيره عليه.

✍ **وذهب الشّافعيّة إلى أنّه يثبت التّحريم وإن كان اللّبن مغلوبًا، بأن لم يبق من صفاته شيء، بشروط:**

١/ أن يشرب الطّفل الجميع أو يشرب بعضه،

٢/ تحقّق وصول اللّبن إلى الجوف،

٣/ وأن يكون اللّبن مقداراً بحيث لو انفرد أثّر.

وقال الحنابلة: اللّبن المشوب كالمحض في إثبات التّحريم به على المذهب، والمشوب هو المختلط بغيره، والمحض هو الخالص الّذي لا يخالطه سواه، سواء شيب بطعامٍ أو شرابٍ أو غيره، وسواء أكان غالبًا أو مغلوبا

اشتراط تعدّد الرّضعات:

لا خلاف بين الفقهاء في أنّ خمس رضعاتٍ فصاعداً يحرّمن.

واختلفوا فيما دونها.

فذهب الجمهور (الحنفيّة والمالكيّة وأحمد في روايةٍ عنه) وكثير من الصّحابة والتّابعين إلى أنّ قليل الرّضاع وكثيره يحرّم وإن كان مصّةً واحدةً، فالشّرط في التّحريم أن يصل اللّبن إلى جوف الطّفل مهما كان قدره. واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾

وذهب الشّافعيّة والحنابلة في القول الصّحيح عندهم إلى أنّ ما دون خمس رضعاتٍ لا يؤثّر في التّحريم.

وروي هذا عن عائشة، وابن مسعودٍ وابن الزّبير ﷺ وبه قال عطاء

وطاوس، واستدلّوا بما ورد عن عائشة، قالت: (كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن) (مسلم برقم ١٤٥٢).

والمعنى: أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدا حتى إنه (توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى والنسخ ثلاثة أنواع أحدها ما نسخ حكمه وتلاوته كعشر رضعات والثاني ما نسخت تلاوته دون حكمه كخمس رضعات وكالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما والثالث ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته وهذا هو الأكثر ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٠].

الفحل صاحب اللّبن:

إنّ صاحب اللّبن - وهو زوج المرضعة الّتي نزل لها منه اللّبن - وهو المسمّى في عرف الفقهاء (لبن الفحل) ينشر الحرمة، فيحرم على صاحب اللّبن من أرضعتها زوجته ودليل نشر الحرمة من صاحب اللّبن: ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: " إنّ أفلح أخا أبي القعيس استأذن عليّ بعد أن نزل الحجاب، فقلت: واللّه لا آذن حتّى أستأذن رسول اللّه (فإنّ أخا أبي القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس.فدخل عليّ رسول اللّه ﷺ فقلت: يا رسول اللّه إنّ الرّجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأته، فقال: ائذني له فإنّه عمّك تربت يمينك وقال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: «**حرّموا من الرّضاعة ما يحرم من النّسب**» البخاري ٤٥١٨ومسلم ١٤٤٥

وفي الموطأ برقم ١٢٥٨: سئل ابن عبّاسٍ رضي الله عنه عن رجلٍ تزوّج امرأتين فأرضعت إحداهما جاريةً والأخرى غلاماً هل يتزوّج الغلام الجارية؟ قال: لا،

اللّقاح واحد.) ورواه الترمذي برقم ١١٤٩ وقال الألباني صحيح الإسناد.

هل تثبت الأبوّة ولو بعد الطّلاق أو الموت؟

تثبت الأبوّة باللّبن ولو بعد الطّلاق أو الموت، قصر الزّمان أو طال.

فإذا طلّق زوجته أو مات عنها ولها لبن فأرضعت به طفلا قبل أن تتزوّج، فالرّضيع ابن المطلّق أو الميّت من الرّضاع، ولا تنقطع نسبة اللّبن إليه بموته أو طلاقه، سواء ارتضع في العدّة أو بعدها، قصرت المدّة أم طالت، انقطع اللّبن أم لم ينقطع، لأنه لم يحدث ما يحال اللّبن عليه، فهو باستمراره منسوب إليه، وإلى هذا ذهب جمهور الفقهاء.

س٩/ هل تثبت الحرمة بلبن من زنى؟

إن ولدت من الزّنى فنزل لها لبن فأرضعت به صبيًّا، صار الرّضيع ابنًا لها باتّفاق الفقهاء، لأنه رضع لبنها حقيقةً والولد منسوب إليها، واختلفوا في ثبوت الحرمة بين الرّضيع وبين الرّجل الّذي ثاب اللّبن بوطئه.

فذهب الشّافعيّة والخرقيّ وابن حامدٍ من الحنابلة إلى أنّه يشترط في ثبوت الحرمة بين الرّضيع وبين صاحب اللّبن أن يكون اللّبن لبن حملٍ ينتسب إلى الواطئ بأن يكون الوطء في نكاحٍ أو شبهةٍ. فالأصل أنّ كلّ من يثبتً منه النّسب يثبت منه الرّضاع، ومن لا يثبت منه النّسب لا يثبت منه الرّضاع

أمّا إن نزل اللّبن بحملٍ من الزّنى فلا تثبت الحرمة بين الرّضيع والفحل الزّاني، لأنه لبن غير محترمٍ، ولا نّ التّحريم بينهما فرع لحرمة الأبوّة، فلمّا لم تثبت حرمة الأبوّة لم يثبت ما هو فرع لها وهو الأوجه عند الحنفيّة.

وقال المالكيّة، وأبو بكرٍ عبد العزيز من الحنابلة وهي رواية عند الحنفيّة: إنّ لبن الفحل ينشر الحرمة، وإن نزل بزنىً، وقالوا: لأنه معنىً ينشر الحرمة فاستوى في ذلك مباحه ومحظورة كالوطء.

س١٠/ بم يثبت الرّضاع؟

يثبت الرّضاع بالإقرار أو بالبيّنة.

الإقرار: كأن تزوّج رجل امرأةً ثمّ قال: هي أختي أو ابنتي من الرّضاع انفسخ النّكاح.

فإن كان قبل الدّخول وصدّقته المرأة فلا مهر لها، وإن كذّبته فلها نصفه.

وإن كانت المرأة هي الّتي قالت: هو أخي من الرّضاعة فأكذبها ولم تأت بالبيّنة، فهي زوجته في الحكم.

وهذا إن كان الإقرار ممكنـًا.

فإن لم يكن ممكنـًا، بأن يقول: فلا نة بنتي من الرّضاعة وهي أكبر منه سنّـًا فهو لغو.

س١١/ ما الحكم لو رجع عن الإقرار؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه إذا صحّ الإقرار، فرجع عنه المقرّ أو رجعا لم يقبل قضاءً، وأمّا فيما بينه وبين ربّه فينبني ذلك على علمه بصدقه.

فإن علم أنّ الأمر كما قال فهي محرّمة عليه ولا نكاح بينهما، وإن علم كذب نفسه فالنّكاح باقٍ بحاله، وقوله كذب لا يحرّمها عليه، لأن المحرّم حقيقةً الرّضاع لا القول.

وإن اتّفق الزّوجان على أنّ بينهما رضاعـًا محرّمـًا فرّق بينهما، ويسقط المهر المسمّى، لا نّهما اتّفقا على أنّ النّكاح فاسد من أصله، ففسد المسمّى ووجب مهر المثل إن كانت جاهلةً بالتّحريم ودخل بها، لا نّها كالموطوءة بالشّبهة.

وإن كانت عالمةً بالتّحريم ومكّنته من الوطء فلا شيء لها، لا نّها بغي مطاوعة.

س١٢/ كم نصاب الشّهادة على الرّضاع؟

اختلف الفقهاء في نصاب الشّهادة على الرّضاع:

فذهب الحنفيّة والمالكية إلى أنّه يثبت بشهادة العدول، رجلين أو رجلٍ وامرأتين، ولا يقبل أقلّ من ذلك، ولا شهادة النّساء بانفرادهنّ.

واستدلّوا بقول عمر ﷺ: لا يقبل على الرّضاع أقلّ من شاهدين وكان ذلك بمحضرٍ من الصّحابة، ولم يظهر النّكير من أحدٍ، فصار إجماعـًا.(بدائع الصنائع ٣/ ٤١٤).

ولأنّ هذا ممّا يطّلع عليه الرّجال في الجملة، فلا يقبل فيه شهادة النّساء على الانفراد، لأن قبول شهادتهنّ بانفرادهنّ في أصول الشّرع للضّرورة، وهي ضرورة عدم اطّلاع الرّجال على المشهود به، فإذا جاز الاطّلاع عليه في الجملة لم تتحقّق الضّرورة.

ووافقهما الشافعي وزاد فقال وبأربع نسوةٍ، لأنه ممّا لا يطّلع الرّجال عليه إلاّ نادراً، ولا يثبت بدون أربع نسوةٍ.

وقال الحنابلة: يثبت الرّضاع بشهادة المرأة المرضيّة.

واستدلّوا بحديث عقبة قال: (تزوّجت أمّ يحيى بنت أبي إهابٍ، فجاءت أمة سوداء فقالت قد أرضعتكما، فأتيت النّبيّ ﷺ فذكرت له ذلك فقال: كيف بها وقد زعمت أنّها أرضعتكما) صحيح البخاري برقم ٢٥١٦/ ٢٥١٧/ ٤٨١٦ والرواية تدلّ على الاكتفاء بالمرأة الواحدة.

س١٣/ ما حكم الرضاع من المرأة الكافرة والفاجرة؟

إن ارتضع مسلم من ذمّيّةٍ رضاعـًا محرّمـًا حرّمت عليه بناتها وفروعها كلّهنّ وأصولها كالمسلمة، لأن النّصوص لم تفرّق بين مسلمةٍ وكافرةٍ، وقد صرّح

بذلك المالكيّة والحنابلة ولا تأبى ذلك قواعد المذاهب الأخرى.

وفي سنن سعيد بن منصوربرقم٩٩٥ عن الحسن: أنه كان لا يرى بأسا أن يسترضع الرجل لولده اليهودية والنصرانية والفاجرة.

أما الارتضاع بلبن الفجور فقال أحمد بن حنبلٍ: يكره الارتضاع بلبن الفجور ولبن المشركات، لأنه ربّما أفضى إلى شبهً المرضعة في الفجور، ويجعلها أمّـًا لولده فيتعيّر بها، ويتضرّر طبعـًا وتعيّراً، والارتضاع من المشركة يجعلها أمّـًا لها حرمة الأمّ مع شركها، وربّما مال إليها المرتضع وأحبّ دينها.

وروي عن عمر بن الخطّاب وعمر بن عبد العزيز أنّهما قالا: اللّبن يشتبه، فلا تستق من يهوديّةٍ، ولا نصرانيّةٍ ولا زانيةٍ، ويكره بلبن الحمقاء كي لا يشبهها الطّفل في الحمق.(المغني ٩/ ٢٢٩).

وفي سنن سعيد بن منصور برقم٩٩٧ عن عمر بن حبيب عن رجل من كنانة أراه عتواري قال: جلست إلى ابن عمر فقال: أمن بني فلا ن أنت؟ قلت: لا ولكنهم أرضعوني قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: إن اللبن يشتبه عليه

وفي ضعفاء العقيلي ج٢ / ٨٩ برقم ٥٤عن زياد بن إسماعيل السهمي أن رسول الله ﷺ نهى أن يسترضع بلبن الحمقاء وقال اللبن يشتبه عليه لا يتابع عليهما ولا يعرفان الا به.

س١٤/ هل علي الرضيع إذا شب وكبر أن يصل المرضعة وذويها؟

للمرضعة حقّ على من أرضعته ولو كان الإرضاع بأجرٍ، يدلّ على ذلك حديث حجّاجٍ الأسلميّ، قال: «**قلت: يا رسول اللّه ما يذهب عنّي مذمّة الرّضاعة؟ قال: الغرّة العبد أو الأمة**». وهو حديث ضعيف كما في سنن أبي داود٤٤٥

وقال الخطّابيّ في المعالم: يقول: إنّها قد خدمتك وأنت طفل، وحضنتك وأنت صغير، فكافئها بخادمٍ يخدمها ويكفيها المهنة، قضاءً لذمامها «**أي لحقّها**» وجزاءً لها على إحسانها.

هذا ما وجدناه مما كنا قد كتبناه قبل أن يقل أدب من سرق الكتاب قبل طبعه.

كتبه

أبو عرفات

محمد بن نبيه علي ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

مصر المحروسة / محافظة الشرقية/ فاقوس/ كفر السواقي

الفِهرس

المقدمة..... ٣
تقديم..... ٥
تعريف الأدب ٧
قدر الأدب عند العلماء ١١
الأدب مع الله ١٣
أقوال في الأدب:.....١٦
أدب الخوف من الله ؟ ١٩
ومن سوء الأدب مع الله: شرك الخوف: ٢٢
أدب الحب:.....٢٥
أقوال في المحبة:.....٣١
درج المحبة:.....٣١
ومن الأدب مع الله (التوكل):.....٣٧
قدر التوكل عند الخلق ٣٨
التوكل أدب الأنبياء والمرسلين ٣٩
التوكل أدب الصالحين من الصحابة ومن بعدهم: ٤٠
شروط صحة التوكل:.....٤١
أقسام التوكل: ٤٣
درجات التوكل:.....٤٤
الأدب مع الحبيب النبي ﷺ.....٤٩
أسماء أخرى للنبي ﷺ:.....٧٧

أولاد النبي ﷺ: ٧٩
إرهاصات وافقت المولد: ٨١
الأدب مع رسول الله ﷺ ٨٩
هل حقاً انتشر بالسيف؟؟ ١٠٩
الإسلام ونظرته للرقيق وملك اليمين ١١٥
هل الإسلام كرم المرأه أم ظلمها وأهانها ؟ ١٢٣
تكريم الاسلام للمرأة ١٢٥
المرأة في المجتمعات والأد يان الأخرى: ١٢٥
المرأة عند الإغريق: ١٢٥
المرأة عند الرومان: ١٢٥
المرأة عند الصينيين القدماء: ١٢٦
المرأة عند الهنود: ١٢٦
المرأة عند الفرس: ١٢٦
المرأة عند اليهود: ١٢٦
المرأة عند النصارى: ١٢٦
المرأة عند العرب: ١٢٧
الأدب مع أولي الأمر ١٤١
الأدب مع الأمراء ١٤٩
كيفية النصيحة لولي الأمر: ١٥٣
الأدب مع الوالدين ١٥٥
حقوق الوالدين على الولد: ١٥٧
الأدب مع الوالدين يكون بالآتي: ١٦٣
أدب الزوجين ١٦٥
قدر الرجل: ١٦٥

قدر المرأة: ١٦٦
حق الزوجة: ١٦٨
حق الزوج على زوجته ١٧٣
الأدب مع الأصحاب ١٧٩
الحاجة الملحة لاختيار الصاحب: ١٧٩
كيف يعرف المرء صحة الوداد من سقمه؟ ١٨٠
ولصحبة الآخرين آداب ينبغي أن يتأدب بها ومنها: ١٨٤
الأدب مع الجـــار ٢٠١
مسألة في أدب الضيافة: ٢٠٤
الرضاع آداب وأحكام ٢٠٧
أركان الرضاع ٢٠٩
اشتراط تعدّد الرّضعات: ٢١٣
الفحل صاحب اللّبن: ٢١٤